ترجمة المؤلف

- (**اسمه ونسبه**) :

- هو الشيخ العلامة الورع الزاهد سليمان بن عبدالرحمن بن محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله بن أمين بن خير الله العُمري يرجع نسبة إلى عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه -

- والذي تنسب إليه الأسرة العُمرية (١)

- ويكنى بأبي عبدالرحمن ..

- (**ولادته ونشأته**) :-

- ولد الشيخ سليمان - رحمه الله - في مدينة ((عنيزة)) في ربيع الآخر سنة (١٢٩٨) هـ ونشأ نشأة صالحة في بيت علم وورع وتقوى ، فلم يتعلق بالدنيا بل انصرف إلى طلب العمل فقرأ القرآن مجوداً عند آل دامغ ثم حفظه عن ظهر قلب ، ورباه والده فأحسن تربيته وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة فقرأ على علماء عنيزة ، ومنهم الشيخ صالح بن عثمان القاضي حيث لازمه ملازمة تامة ، فقرأ عليه في الفقه والتوحيد والحديث والتفسير والعربية ، كما قرأ على الشيخ عبدالله بن محمد المانع أصول الدين والفرائض ... ثم إن الشيخ - رحمه الله - ارتحل إلى بريدة فقرأ على الشيخ العلامة محمد بن عبدالله آل سليم في أصول الدين وفروعه وفي الحديث ولازمه أكثر من عشر سنوات حتى وفاة الشيخ محمد - رحمه الله - .

---

(١) أنظر في نسب الأسرة العُمرية كتاب : ((علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم)) الشيخ /صالح بن سليمان العُمري - رحمه الله - ، تقديم الدكتور/أكرم ضياء العُمري .

- بعد ذلك ارتحل الشيخ سليمان مع الشيخ عمر ابن الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم إلى الرياض للتزود من العلم فقرأ على علمائه ومنهم : الشيخ العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، والشيخ سليمان بن سحمان وآخرين لازم هؤلاء في أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير وأصول الفقه .. ثم إن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف طلب من الشيخ عمر آل سليم والشيخ سليمان العُمري أن يعودا إلى بريده لينتفع الناس بعلمهم فرجع الشيخ عمر والشيخ سليمان إلى بريدة ومنها انتقل الشيخ إلى عنيزة ..

- (مناصبه العلمية والعملية) :-

- بعد رجوع الشيخ سليمان - رحمه الله - إلى ((عنيزة)) عام ١٣٤٢ هـ عين إماماً بمسجد (القاع) وجلس لتدريس طلبة العلم فيه، فالتف إلى حلقته طلبة كثيرون وكان حسن التعليم يجلس يومياً بعد الفجر وبعد الظهر وبعد المغرب ، وقد أعجب به الشيخ مقبل الذكير أحد-وجهاء عنيزة - وكان له إلمام بالعلوم وبأمهات الكتب فبنى داراً بـ (القاع) وخصصها كمكتبة عامة ومدرسة ، وطلب من الشيخ سليمان التدريس فيها وملازمتها .

وقد كان الشيخ - رحمه الله - يكتب الوثائق للناس ، وكانت القضاة تعتمد قلمه في التوثيق ، وأُولع بنسخ الكتب فخط كتباً كثيرة بقلمة ، وكان صاحب خط جميل

وقد فرَّغ الشيخ - رحمه الله - أوقاته كلها لنفع العباد تدريساً وإفتاءً وكتابة وثائق وعقد أنكحة وإرشاداً لجماعة مسجده دون مقابل ، وكان أيضاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصدع في ذلك لايخاف في الله لومة لائم وكان لكلامه وقع في القلوب ..

- وفي شوال سنة ١٣٤٦ هـ اختار الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الشيخ سليمان - رحمه الله - ليتولى الإشراف على الشئوون الدينية بالمسجد النبوي والتدريس فيه مع رئاسة المحكمة المستعجلة بالمدينة المنورة ، والتي كان لها أهمية في ذلك الوقت حيث كانت تنظر في كل الأمور المستعجلة ، الصغيرة والكبيرة بما في ذلك قضايا القتل وغيرها ..

- وفي المدينة التف عليه جماعة غير قليلة من طلبة العلم من هذا البلد وخارجها .

- وكان يجلس للتدريس في المسجد النبوي كل يوم مرتين في الصباح وفي المساء وبلإضافة لهذا كان يؤم المصلين للصلاة فيه ويشرف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وله في ذلك مواقف مشهودة ..

- وقد نفع الله بعلم الشيخ وكان أمير المدينة في زمنه ، الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم يجل الشيخ ويوقره ويعمل بنصائحه طيلة مدة بقاء الشيخ سليمان في المدينة ..

- والتي استمرت قرابة خمس عشرة سنة ..

- وفي سنة ١٣٥٩ هـ نُقل الشيخ سليمان من المدينة ليعين قاضياً في حريملاء فباشر عمله بكل حزم وجد وقد سُر به أهل حريملاء ، وذهب جماعة منهم إلى الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وطلبوا منه أن يستمر الشيخ لديهم ، لكن الملك عبدالعزيز -رحمه الله - أخبرهم بأن الشيخ إنما عين في حريملاء - مؤقتاً - وسيتم نقله إلى منطقة أكبر ، وفعلاً أصدر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - أمره بتعيين الشيخ سليمان رئيساً لمحكمة الإحساء الكبرى .

- وقد استمر في رئاسة قضاء الأحساء مدة ثلاثة عشر عاماً ، كان خلالها عادلاً نزيهاً في أقضيته محبوباً بين أهل الأحساء وبين أميرها الأمير : سعود بن عبدالله بن جلوي والذي كان يجل الشيخ ويقدره ويحترمة ...

- وفي سنة ١٣٧٣ بدأ الضعف يدب في جسدالشيخ بعد أن أرهقته الشيخوخة وتكاليف العمل وأعباؤه فكان أن طلب إعفائه من منصبه ووافق على ذلك الملك عبدالعزيز وعين الشيخ محمد الخيال خلفًا له ..

- (**وفاته**) - رحمه الله -

بعد إحالة الشيخ من منصبه - بناء على طلبه - تفرغ الشيخ للعبادة ولازم المسجد والتلاوة والذكر ، وكان يذهب أحياناً إلى عنيزه - مسقط رأسه - حيث أقربائه وتلاميذه الكثيرون ، ويعقد هناك مجالس للتدريس والعلم ..

وفي آخر أيامه ضعف بصره وتوالت عليه الأمراض حتى وافته المنية في ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٧٤ هـ بمدينة الهفوف بالأحساء ، وحضر الصلاة عليه جميع أهل تلك المدينة ، ودفن هناك في المقبرة التي شمال سور الهفوف ، وصليت عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين وفي كثير من مساجد المملكة ، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ..

هذا وقد كان للشيخ - رحمه الله - ولدين هما عبدالرحمن وعبدالله وهما سبطا الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم ، وأكبرهما عبدالرحمن وكان باراً بأبيه وأمه وقد توفي في حياة أبيه بالطائف سنة ١٣٥٦ هـ على إثر عملية جراحية أجريت له ، فصبر والده على ذلك واحتسب أجره لينال مثوبة الصابرين ، وابنه الثاني عبدالله وكان صالحاً توفي بعد أبيه بخمس سنوات في عنيزة سنة ١٣٧٩ هـ ...

- (**أبرز شيوخه وتلاميذه**) :-

- ذكرنا فيما سبق كيف أن الشيخ سليمان نشأ نشأة علمية ، تتلمذ خلالها على عدد من أكبر علماء عصره ، سواء خلال وجوده في عنيزة - مسقط رأسه - أو أثناء انتقاله إلى بريدة أو خلال زيارته إلى الرياض برفقة الشيخ عمر آل سليم - رحمه الله-

- وفيما يلي نذكر أبرز شيوخه - رحمه الله -وهم : -

- جده الشيخ محمد بن عمر بن مبارك العُمري (١)

- الشيخ صالح بن عثمان القاضي (٢)

- الشيخ عبدالله بن محمد المانع (٣)

---

(١) هو الشيخ القاضي محمد بن عمر بن مبارك العُمري ولد في بريدة حوالي سنة ١٢٣٠ هـ ، وكان من بيت علم فقرأ القرآن وحفظه ، ثم لازم العلماء فأخذ عن عالم القصيم الشيخ قرناس القرناس ، وعن الشيخ سليمان بن علي المقبل ، ثم عين في أوائل القرن الرابع عشر قاضياً في الخبراء فاستمر فيها عشر سنوات كان مثل التقوى والعفة والزهد فكان لايأخذ المخصص الذي للقاضي ويتركه تعففاً وورعاً ، توفي - رحمه الله - عن عُمر يناهز التسعين عاماً وذلك في حدود عام ١٣١٨ هـ .

انظر ((علماء آل سليم)) (٢/٥٠٠)

(٢) هو الشيخ الجليل صالح بن عثمان بن حمد بن إبراهيم القاضي ولد في عنيزة سنة ١٢٨٢ هـ حفظ القرآن وجوده عن ظهر قلب ثم لازم الشيخ عبدالله بن عائض تعلم الكتابة والحساب ونظم الشعر والعروض وعلوم العربية والتاريخ والأنساب ، وقرأعلى الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم في عنيزة ولما رجع الشيخ محمد إلى بريدة رحل معه وتجرد للطلب ثم ذهب للحج عام ١٣٠٧ هـ وبعدها ذهب للقاهرة حيث التحق بالأزهر فلازم علمائه في علوم الحديث والتفسير وعلوم العربية وفي سنة ١٣٢٤ هـ تولى قضاء عنيزة مع إمامة وخطابة الجامع الكبير حتى توفي سنة ١٣٣٦ هـ .

انظر كتاب ((روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين))
محمد بن عثمان بن صالح القاضي
(١٦٦/١)

(٣) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله المانع ولد في عنيزة سنة ١٢٨٤ هـ نشأ في بيت علم وتقى وصلاح ، حفظ القرآن عن ظهر قلب ثم شرع في العلم على علماء بريدة ، فأدرك لاسيما في علم التوحيد والأصول وقد تميز بالتقى والورع تولى القضاء في عنيزة بعد وفاة شيخه صالح بن عثمان القاضي - رحمه الله - بالإضافة إلى إمامة وخطابة الجامع الكبير واستمر فيها عشر سنوات حتى توفي سنة ١٣٦٠ هـ

انظر كتاب ((علماء نجد خلال ثمانية قرون)) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام
(٤٨٢/٤)

- الشيخ العلامة محمد بن عبدالله آل سليم (١)
- الشيخ العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ (٢)

---

(١) هو الشيخ العلامة محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد آل سليم ولد في بريدة سنة ١٢٤٠ هـ ونشأ نشأة صالحة فحفظ القرآن عن ظهر قلب ثم قرأ على الشيخ قرناس آل قرناس قاضي القصيم ثم على الشيخ سليمان المقبل ثم على الشيخ عبدالله أبي بطين ثم رحل إلى الرياض حيث لازم الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ مدة اثني عشر عاماً رجع بعدها إلى القصيم وانتهت إليه الفتيا والرئاسة العلمية في القصيم ، ثم حصل بينه وبين حسن المهنا أمير القصيم خلاف وذلك بسبب تمسك الشيخ بالبيعة للإمام عبدالله بن فيصل آل سعود مما يعنى إبطال إمارة حسن المهنا ، فهرب الشيخ إلى عنيزة خوفاً من بطش ابن مهنا وتبعه بعض طلبة العلم فلبث فيها خمس سنوات كان خلالها محل عناية أهل عنيزة بعد ذلك لم يستقر القضاء في بريدة على قرار فكان أن قرر حسن المهنا استعادة الشيخ محمد آل سليم والاعتذار إليه حيث أرسل وفداً من أمراء آل أبي الخيل ووفداً من أعيان بريدة يحملون رسالة بهذا الشأن ، فعاد الشيخ بعد ما طلب أن يأذن له جماعة ووجهاء عنيزة - إكراما لموقفهم معه - فأذنوا له ورجع إلى قضاء بريدة حتى تولى عبدالعزيز بن متعب الرشيد عام ١٣١٨ هـ إمارة بريدة حيث طلب من الشيخ محمد - رحمه الله - الخروج من بريدة وذلك بسبب مناصرة الشيخ للأمير عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، فخرج الشيخ إلى النبهانية وصحبه خلال سفره جماعة من أهل بريدة واستمر فيها حتى دخل الملك عبدالعزيز بريدة سنة ١٣٢٢ هـ حيث عاد الشيخ محمد - رحمه الله - إلى قضاء بريدة وكان الملك عبدالعزيز يجل الشيخ ويوقره حيث لا يعين قاضياً في القصيم ولا يعزله حتى يأخذ رأي الشيخ في هذا حتى توفي - رحمه الله - سنة ١٣٢٦ هـ .

انظر ((علماء آل سليم)) (٢٠/١)

(٢) هو الشيخ العلامة المحقق عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ، ولد في الأحساء سنة ١٢٦٥ هـ ، ونشأ نشأة صالحة فحفظ القرآن مجوداً ثم قدم الرياض وكان يقرأ على جده العلامة عبدالرحمن بن حسن في الأصول والفروع والحديث والتفسير وعلوم العربية ولما توفي أبوه سنة ١٢٩٣ هـ سافر إلى الأفلاج ولازم الشيخ حمد بن عتيق ثلاث سنوات ثم رجع إلى الرياض وجلس للتدريس فالتف إلى حلقته طلبة كثيرون حتى انتهى الإفتاء اليه في الرياض وما حوله ، له رسائل علمية كثيرة ، وتخرج على يديه طلبة كثيرون ، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٣٩ هـ .

((روضه الناظرين عن مآثر علماء نجد)) (٣٩٠/١)

- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (١)
- الشيخ سليمان بن سحمان (٢)
- وخلال سنوات عمره التي وهب نفسه فيها لنفع الناس تدريساً وإفتاء وإرشاداً وتوجيهاً تخرج علي يديه عدد غير قليل من العلماء وطلبة العلم والذين نفع الله بهم حيث تولى عدد منهم مناصب قضائية وعلمية مختلفة ، وفيما يلي نذكر أشهر تلاميذ الشيخ - رحمه الله - وهم : -

١- الشيخ الداعية /عبدالله بن محمد القرعاوي (٣)

---

(١) هو الشيخ العالم الزاهد سعد بن حمد بن علي بن محمد بن عتيق ، ولد في بلدة الحلوة إحدى قرى حوطة بني تميم سنة ١٢٦٨ هـ حيث نشأ فيها وقرأ على والده قاضي حوطة سدير في التوحيد والحديث والفقة والنحو ، ثم رحل إلى الهند ،سنة ١٣٠١ هـ فقرأ على محدث الهند الشيخ نذير حسين الدهلوي والعلامة الشيخ صديق حسن خان وغيرهم حتى بلغ في العلم مبلغاً كبيراً وتولى القضاء في الأفلاج بعد وفاة والده ، ومنها نقل إلى الرياض وصار إمام الجامع الكبيرفيه وقد درس عليه عدد كبير من العلماء ، وألف رسائل كثيرة توفي في الرياض سنة ١٣٤٩ هـ .

((علماء نجد)) (٢/٢٢٠)

(٢) هو الشيخ المصنف الشاعر سليمان بن مصلح بن حمدان بن سحمان ولد في أبها سنة ١٢٦٦ هـ لازم الشيخ حمد بن عتيق وقرأ عليه نحو سبعة عشر عاماً حتى وفاته سنة ١٣٠١ هـ حينها عاد إلى الرياض فحضر دروس الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ، له ردود كثيرة على أعداء الدعوة السلفية نثراً ونظماً ، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٤٩ هـ .

((علماء نجد)) (٢/٣٩٩)

(٣) هو الشيخ الداعية عبدالله بن محمد القرعاوي ، ولد في عنيزة سنة ١٣١٥ هـ وقرأ على علمائها الشيخ عبدالله بن مانع والشيخ صالح العثمان القاضي والشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري ثم رحل إلى بريدة ودرس على الشيخين عبدالله وعمر آل سليم ثم سافر للرياض ودرس على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وكانت له همة دعوية عالية فقصد جنوب المملكة بغرض نشر العلم والدعوة هناك فنفع الله به نفعاً عظيماً وتخرج على يديه طلبة كُثُر تولوا التدريس وإمامة المساجد هناك ، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٨٩ هـ .

((علماء آل سليم)) (٢/٢٧٠)

٢- الشيخ / عبدالله بن مطلق الفهيد (١)

٣ - الشيخ / حسن بن عبدالله النعيم

٤ - الشيخ / محمد بن حمد بن محمد بن عمر العُمري

٥ - الشيخ / محمد بن عبدالعزيز المطوع .. قاضي عنيزة (٢)

٦- ابنه الشيخ / عبدالرحمن بن سليمان بن عبدالرحمن العُمري

٧- الشيخ / عبدالله بن محمد الفهيد ..

---

(١) هو الشيخ عبدالله بن مطلق الفهيد ، ولد في الرس سنة ١٣١٢ هـ ، طلب العلم على يد علماء عنيزة ومنهم : الشيخ صالح بن عثمان القاضي والشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري ، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ثم على علماء بريدة : كالشيخ عبدالله بن محمد آل سليم ثم انتقل إلى الرياض فدرس على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ والشيخ سعد بن حمد بن عتيق ثم سافر مدة إلى المدينة مع شيخه الشيخ سليمان العُمري ، تولى عدداً من المناصب منهاء قضاء رأس الخيمة ثم مفتشاً بالمعاهد العلمية وألف خلال ذلك عدداً من مقرراتها في التوحيد والفقه ، توفي -رحمه الله - سنة ١٣٧٧ هـ .

((علماء آل سليم)) (٣٨٠/٢)

(٢) هو الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله المطوع ولد في عنيزة سنة ١٣١٧ هـ أخذ العلم عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي وقد لازمه كثيراً والشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري ، بالإضافة إلى الشيخين عبدالله وعمر ابناء الشيخ محمد بن عبدالله آل سليم ، تولى رئاسة محكمة الدلم ثم المجمعة وأخيراً قضاء عنيزة وقد أخذ عنه عدد من العلماء كالشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٨٧ هـ

((علماء آل سليم)) (٤٦٧/٢)

– وهؤلاء هم أبرز تلاميذ الشيخ الذين درسوا علية في (عنيزة) أما في المدينة فقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء وطلبة العلم من أبرزهم :

٨– الشيخ / ناصر بن محمد الوهيبي رئيس ديوان المظالم سابقاً . (١)

٩– معالى الشيخ / محمد الحركان .. وزير العدل وأمين رابطة العالم الإسلامي سابقاً . (٢)

١٠– الشيخ / عبدالله بن حمد الخربوش .. الإمام بالمسجد النبوي والمدرس فيه ..

١١– الشيخ إدريس برقاوي الأفريقي .. المدرس بالمسجد النبوي .

١٢– الشيخ / محمد البشير السفاريني الأفريقي .. المدرس بالمسجد النبوي .

١٣– الشيخ / محمد نعمان .. شيخ المؤذنين بالمسجد النبوي الشريف ..

١٤– الشيخ / محمد ثاني فلاته .. المدرس والإمام بالمسجد النبوي ..

١٥– الشيخ حامد عبدالحفيظ .. المدرس بالمسجد النبوي .

١٦– الشيخ / محمد الحافظ .. القاضي في المحكمة الكبري بالمدينة .

---

(١) الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر الوهيبي ، ولد في رياض الخبراء سنة ١٣٢٤ هـ طلب العلم فلازم الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري ، ورشحه الشيخ للقضاء فعينه الملك عبدالعزيز – رحمه الله – قاضياً ثم صار عضوا برئاسة القضاء ثم عضواً بديوان المظالم ثم رئيساً ، توفي – رحمه الله – سنة ١٣٨٢ هـ .

((علماء آل سليم وتلامذتهم)) (٥١٩/٢)

(٢) هو الشيخ محمد بن علي بن محمد الحركان ولد في المدينة سنة ١٣٣٠ هـ ونشأ فيها تتلمذ على عدد من علماء المدينة منهم : الشيخ محمد الطيب الأنصاري والشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري حين قدم إليها ولي قضاء جدة عام ١٣٧٢ ، وفي عام ١٣٩٠ هـ أصدر الملك فيصل – رحمه الله – قراره بتعينه وزيراً للعدل وهو أول وزير للعدل واستمر حتى سنة ١٣٩٦ هـ حينها نقل ليكون أميناً لرابطة العالم الإسلامي وبقي فيها حتى وفاته – رحمه الله– سنة ١٤٠٣ هـ .

((علماء نجد)) (٣١٧/٦)

١٧- الشيخ / عبدالمجيد حسن .. عضو مجلس القضاء الأعلى ، وعضو هيئة كبـار العلماء ، والإمام بالمسجد النبوي ..

١٨- الشيخ / سيف بن سعيد اليماني ... رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة .

١٩- الشيخ / محمد بن عبدالمحسن الكتبي ... صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢٠- الشيخ / محمد بن وصل ... أمير قبائل الأحمدية .

٢١- الشيخ / حماد المطيري ... المدرس بالمسجد النبوي وفي دار الحديث

٢٢- الشيخ / محمد بن عيشة الجزائري .. المدرس بالمسجد النبوي

٢٣- الشيخ / عبدالرحمن بن محمد بن محيميد ... رئيس محكمة الخبر ثم عضو ديوان المظالم .

٢٤-الشيخ / صالح الطرابلسي .. قاضي المحكمة المستعجلة بالمدينة المنورة

٢٥- الشيخ / حسن على عزمي ... قاضي خيبر

٢٦- الشيخ / حمد بن مطلق الغفيلي ... قاضي وإمام مسجد المهد

* (**مؤلفاته**) :-

- كان للشيخ العلامة سليمان بن عبدالرحمن العُمري - رحمه الله - عدد من المؤلفات والرسائل غالبها من الردود والنصائح ، كما كان لديه عدد من المخطوطات خطها بيده - رحمه الله - ومن أشهر كتبة ورسائله : -

(١)- رسالة في التوسل :

ألفها في الرد على من أجاز التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو بذاته ، وقد فرغ من تأليفها في العشرين من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة كما ذكر - رحمه الله - ذلك في آخرها ..

- وقد لاقت هذه الرسالة استحسان وثناء علماء المدينة في زمنه لم احتوته من بيان لمعتقد السلف - رحمهم الله - في هذه المسألة المهمة والخطيرة ألا وهي مسألة التوسل ، ولم ذكره في هذه الرسالة من دحض لشبه المنحرفين في هذا الباب ، وأيضاً لم نقله

في هذه الرسالة من نقولات عديدة من كتب أئمة الإسلام وعلمائه التي تبين النهج الصحيح في هذه المسألة .. (١)

(٢) رسالة إلى أهل المدينة : -

بعث بها الشيخ - رحمه الله - من الرياض إلى علماء المدينة وخصوصاً المدرسين في المسجد النبوي، وقد تضمنت هذه الرسالة التذكير بما كان ينتشر في المدينة من بدع ومنكرات وشركيات قبل دخولها تحت حكم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ثم ذكر - رحمه الله - في هذه الرسالة أجلّ مقاصد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - والتي ينبغي إفهامها ونشرها بين الناس فذكرها في أمور ثلاثة ، نذكرها على سبيل الإجمال : -

الأول / تفهيم المسلمين قواعد الدين وخصوصاً التوحيد بأنواعه وتقرير ذلك لديهم ..

الثاني / تعليم الناس دينهم وترك الالفاظ التي اعتادوها مماهو من الشرك الأكبر أو الأصغر أو مما هو من المحرمات ..

الثالث / تفهيم الناس وتعليمهم ، ألفاظ الزيارة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد فرغ الشيخ - رحمه الله -من تأليف هذه الرسالة في رجب سنة ١٣٤٧ هـ كما هو مبين على مخطوطتها ..

(٣) البرهان في تحريم الدخان ..

وهي رسالة متوسطة الحجم ضمّنها الشيخ بيان حكم شرب الدخان بالأدلة النقلية والعقلية وأقوال العلماء في ذلك ، بعد أن بين كيف دخلت هذه العادة الخبيثة إلى بلاد المسلمين وما لاحظه من وقوع البعض فيها ، ثم ذكر في آخر الرسالة فصلاً نافعاً بعنوان: حد اللحية والنهي عن الأخذ منها والنهي عن ترك الشارب ... وقد ألف الشيخ - رحمه الله - هذه الرسالة ، سنة ١٣٣١ هـ كما هو مثبت على المخطوطة ..

---

(١) وقد طبعت هذه الرسالة مع رسالة النهي عن التفرق طبعة قديمة لم يؤرخ لها .

- صورة من مخطوطة ((رسالة إلى أهل المدينة)) بخط الشيخ سليمان العُمري وتظهر فيها الصفحة الأولى والأخيرة...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما
من سليمان بن عبد الرحمن العمري إلى علماء المدينة الكرام المدرسين في مسجد أفضل
الرسل الكرام محمد صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد
فأهنيكم ونفسي بما منّ الله علينا وخصنا به من نشر هذه الدعوة الإسلامية
والطريقة المحمدية وهي الدعوة إلى توحيد رب العالمين التي هي دعوة جميع الأنبياء
والمرسلين كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله
إلا أنا فاعبدون وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء
من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون وهذه دعوة الرسل من أولهم
إلى آخرهم يأمرون أممهم بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده وينهون عن عبادة
الطواغيت وكما ورد في الحديث نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد
يعني التوحيد وأمهاتنا شتى يعني الشرائع كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا وكل هذا ولله الحمد تعرفونه وتفهمونه فاحمدوا الله تعالى على ما منّ علينا
وعليكم بهذا الإمام الذي غرس الله في قلبه محبة التوحيد ومحبة من يدعو إليه
في آخر

٣ ٦

ولحسن تفسيرا فلا يقدر أحد أن يأتي بحجة على أن الله يدعى ويدعى معه غيره
بل دل الكتاب والسنة على النهي عن ذلك وتغليظ أمره وأنه من الشرك الأكبر الذي
لا يغفره الله وفي القرآن من الأدلة على ذلك ما يفوت العد كما قال تعالى
ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وقال إن الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الآية وهذا عام يتناول كل ما دعاه
المشركون مع الله من ميت أو غائب أو غير ذلك وأمثال هذه الآيات جملة وتفصيلا
أكثر من أن تحصى وقد قصر العبادة بجميع أنواعها على نفسه كما في فاتحة الكتاب
وغيرها فلا يصير لكم تنافس إلا في العلم بالتوحيد ومعرفة ما يناقضه من الشبهات
وردها حتى يمن الله عليكم بالعمل الصالح لأن صحة العمل ترتبت على هذا إذا كان عن
قبول ومحبة ورغبة ومعرفة وبحسب قوة العلم بهذا التوحيد يصلح العمل ويلقى
فضله وثوابه وتكفير الذنوب وتفريج الكروب وتمام هذا بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر وجهاد من خرج ومرق بالحجة والبيان وبالله التوفيق ولا يخفى
عليكم أن تفصيل هذه النبذة يحتاج إلى مجلد ضخم فمن تنبه على زلة أو عرض له
شبهة فلينبهني على ذلك لأن الحق ضالة المؤمن ونسأل الله بأسمائه الحسنى
وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يجمع قلوبنا على طاعته
وأن يجعلنا وإياكم ممن يتعاونون على البر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
رجب ١٣٤٧
وبالله التوفيق

١٣٤٨ سنه
حررت

- صـــــورة مـــن مخطوطة ((البرهـــان في تحريم الدخان)) للشيخ سليمان العُمري وتظهر فيهـــا الصفحة الأولى والأخيرة ...

(٤) رسالة في النهي عن التفرق ...

وكان سبب تأليفها ما رآه - رحمه الله - من انفراد بعض المصلين من المنتسبين إلى مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - عن الإمام بعد صلاة التراويح في رمضان وقبل بدء الوتر ، وذلك لاعتقادهم وجوب الوتر وأن يكون بثلاث ركعات بتسليمة واحدة .. وقد بين - رحمه الله - في هذه الرسالة النافعة الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف ومن بعدهم من الأئمة واتباعهم ما يدل على وجوب الاجتماع ونبذ التفرق ، ثم ذكر ما ورد عن السلف من الصحابة ومن بعدهم في صلاة الوتر وأن لبعضهم آراء تختلف عن البعض الآخر وما كان هذا يمنعهم أن يقتدي بعضهم ببعض .. ثم تعرض لمسألة اقتداء المأموم بإمام يخالفه في المذهب الفقهي ، كصلاة الشافعي خلف الحنبلي أو المالكي خلف الحنفي وهكذا .. فنقل في هذا فتوى شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - في جواز ذلك والأدلة على هذا من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة .. وقد حفلت هذه الرسالة بثناء علماء المدينة وأساتذة المسجد النبوي ، وقد ذكر الشيخ - رحمه لله - في آخرها أنه فرغ من تبييضها في الثاني عشر من رمضان سنة ١٣٥٤ هـ .

(٥) حاشية على التوحيد .. (١)

- ولم أقف عليها حتى الآن .

(٦) وظائف رمضان ...

وهو كتابنا هذا ، ويحتوي على ستة وعشرين فصلاً في الوعظ ، وخاتمة في الترغيب في صيام ستة أيام من شوال ، ثم أردفها - رحمه الله - بعشرة مجالس للوعظ في العشر الأواخر وقد كتبة الشيخ في آخر حياته وذلك في سنة ١٣٧٣ هـ .

- وقد سبق أن ذكرنا أن الشيخ قد خط بيده مخطوطات كثيرة

- ولكن اندثر أكثرها بعد وفاته ، وقد وقفت على أحدها وهي مخطوطة لمتن ((زاد المستقنع في اختصار المقنع)) لموسى الحجاوي ، قال - رحمه الله - في آخرها : ((ذُيِّل في شعبان سنة ١٣٣٩ هـ على يد كاتبه سليمان بن عبدالرحمن العُمري على نسخة من خط الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين غفر الله لنا وله ووالدينا وجميع المسلمين مُؤَرخة في ٥ رجب سنة ١٢٥٥ هـ)) .

---

(١) وقد ذكرها محمد بن عثمان القاضي ضمن مؤلفات الشيخ انظر ((روضة الناظرين)) (١٤٩/١) .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله حمداً لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يحمد
وصلى الله وسلم على أفضل المصطفين محمد وعلى آله
وصحبه ومن تعبد أما بعد فهذا مختصر في الفقه
من مقنع الإمام الموفق أبي محمد على قول واحد
وهو الراجح في مذهب الإمام أحمد وربما حذ
فت منه مسائل نادرة الوقوع وزدت ما على مثله
يعتمد إذ الهمم قد قصرت والأسباب المثبطة
عن نيل المراد قد كثرت ومع صغر حجمه حوى ما
يغني عن التطويل ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو
حسبنا ونعم الوكيل كتاب الطهارة وهي
ارتفاع الحدث وما في معناه وزوال الخبث المياه
ثلاثة طهور لا يرفع الحدث ولا يزيل الخبث الطا
رئ غيره وهو الباقي على خلقته فإن تغير بغير مما
زج كقطع كافور ودهن أو بملح مائي أو سخن
بنجس كره وإن تغير بمكثه أو بما يشق صون الماء
عنه من نابت فيه وورق شجر أو بمجاورة ميتة
أو سخن

خ النجس

٥٨٦
العشرة لزمه تسعة وإن قال له علي درهم أو دينار
لزمه أحدهما وإن قال له علي تمر في جراب أو سكين في
قراب أو فص في خاتم ونحوه فهو مقر بالأول
والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وصلواته و
سلامه على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين
لهم بإحسان إلى يوم الدين وذلك [illegible]
كاتبه سليمان بن عبد [illegible] العمري على نسخة [illegible] على يد
عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين غفر الله له ولوالديه و
جميع المسلمين مؤرخة في رجب ١٢٥٥

- صورة لمخطوطة ((زاد المستقنع في إختصار المقنع)) لموسى الحجاوي بخط الشيخ سليمان العُمري عن نسخة للشيخ عبدالله أبي بطين وتظهر فيها الصفحة الأولى والأخيرة ...

- (**ثنـــاء العلمـــاء عليـــه**) : -

- لقد كانت حياة الشيخ العلامة سليمان بن عبـــدالرحمن العُمري - رحمه الله - رحلة مليئة بالعلم ، درساً وتحصيلاً واستزادة ثم تدريساً وتوجيهاً وإفتاءً وتأليفاً ... كل هذه الأمور كانت محل نظر العلماء قبل العـــامة وخصوصاً ما ســـطره الشيخ - رحمه الله - من خلال رســـائله ، أذكر منها ما وقـــفت عليه من ثناء العلماء على رسالتي التوسل والنهي عن التفرق .

- يقول الشيخ عبدالرؤوف عبدالباقي المدرس بالحرم النبـــوي في تقـــريض له على رسالة الشيخ سليمان العُمري الموسومة بـــ((رسالة في التوسل)) بعد حمد الله والثناء عليه :

((إن حكمة مولانا الحكيم العليم اقتضت أن يقيض للحـــق في كل زمان حماة يحمون حوزته وجنوداً يرابطون على ثغوره ليضيقوا على الشيطان مسالكه وأُســـداً تربض في عرينه تحفزاً للوثوب على كل ملبِّس محتال ينصب باســـم العلم شبـــاكه وحبائله وسيوفاً مصلتة على من عرف الحق وكابره وكل ذلك للمحافظة على كيان الدين ولصد هجمات المارقين المعتدين وإيقاف تيار المبتعدين الملحدين حتى تبقـــى السنة الغراء خالصة من كل شائبة فيكون ذلك مظهراً من مظاهر ((لاتزال طائفة)) ولاجدال أن الأستاذ الألمعي والعلامة اللوذعي رئيس المدرسين بالمسجد الشـــريف النبوي الشيخ سليمان بـــن عبـــدالرحمن العُمري من أولئك الأفذاذ الغيورين الذين وهبهم الله عقلاً واسعاً فوقفوا أنفسهم على دفع الطغام واســـتخدموا مواهبـــهم في خدمة الإسلام وحفزهم الغيرة الدينية لكشف الستار عمايدســـه الدساســـون من الشكوك والأوهام أجل إن هذا الشيخ لمن خير العلماء الذين انجبتهم الجزيرة العربية وإنه والحق يقال لمن أولى الناس بالوراثة النبـــوية إذ لايترك مجالاً للصدع بـــالحق إلا صدع به رافعاً عقيرته ولايدع فرصة تتطلب نصرة الدين حتى ينتهزها معملاً في ذلك براعته فمن مواقفه المشهودة تلك الرسالة الفذة في بـــابها والتي جاءت آية إعجاب لم ينسج على منوالها حاسب بها الخصم حساباً دقيقاً ولم يأل في النقل والنقـــد تحقيقـــاً وتدقيقاً حتى تبين الخصم أنه كان غير موفق في كتـــابته واقتنع تماماً أنـــه لايستطيع

التدليل على دعوته فلم يسعه إلا أن رجع عن مدعاه نادماً ويكتب إلى الاستاذ مذعناً ومسلماً ولاشك أن الحق واضح وصاحبه منصور وأن الباطل منطمس وصاحبه موتور والحمد لله رب العالمين)) (١)

- ويقول الشيخ محمد الطيب الأنصاري بعد حمد الله والثناء عليه :

((أما بعد فقد اطلعت على هذه الرسالة التي ألفها صديقنا الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري رئيس المدرسين في المسجد النبوي جواباً عن رسالة ألفها بعض المنتسبين إلى العلم في إجازة التوسل وذكر فيها ماليس له طائل ولا محصل وضمَّنها روايات واهيات ونقل فيها نقولاً غير صحيحات وناقض آخرها أولها أتم المناقضات فكشف الشيخ سليمان النقاب عن وجوهها المشوهات وأبان بطلان ماتضمنة من الترهات والتمويهات بصحيح العبارات ونقول ثابتة غير متناقضات عن سادات المشائخ ومشائخ السادات مستندة إلى منطوقات السنة والمفهومات فآذنت تلك التمويهات بالارتحال ومحالاتها المستحيلات بالاضمحلال فوقع الحق وبطل الباطل واعترف بخطئه المجادل فحمداً لرب العالمين وشكراً له على تأييد الحق وناصريه واضمحلال الباطل في كل حين وتابعيه إنه حميد مجيد)) . (٢)

ويقول الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيس القضاة في المدينة :

((أما بعد : فإني نظرت فيما كتبة الشيخ الفاضل الأثري سليمان بن عبدالرحمن العُمري رداً على من زعم جواز التوسل إلى الله بالمخلوق فقرأته من أوله إلى آخره فوجدته متضمناً للحق والصواب موافقاً للسنة والكتاب قامعاً لأهل البدع والشكوك والارتياب فهو محجة للسالكين وحجة على المبتدعين أثابه الله ثواب المحسنين ونظمه في سلك اتباع سيد المرسلين الداعين إلى الله على علم ويقين والله أعلم)). (٣)

---

(١) انظر ((رسالة في التوسل)) الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري صفحة (٢٣)

(٢) المصدر السابق صفحة (٢٢)

(٣) المصدر السابق صفحة (٢٦)

– وقد نظم الشيخ عوض الكريم حمزة من علماء السودان في هذه الرسالة فقال :

فتلك رسالة القاضي أضائت * بشرع المصطفى للقارئين
قرأت لها بإمعان فكانت * جلاء بصيرة للمتقين
محبرة بنهج لايجارى * لسحق ضلال قوم مارقين
تراهم عندها جداً حيارى * تعالى الله رب العالمين
أماتت كل دسَّاس لئيم * يدس السم بين المسلمين
وأنكت كل ذي جهل ذميم * يواري الخبث بين المؤمنين
تعالى الدين وهي إليه سيف * فقد قصمت ظهور الملحدين
وكل ضلالة لاشك طيف * وها هي نبهت للغافلين
((سليمان)) به نجد تباهت * كراماً أيدوا الدين المتين
ودُمْ مولاي مغتبطاً وهاهي * عُجَالَةُ معجب بالمهتدين (١)

– وكتب الشيخ محمد بن يوسف الهندي الحنفي المدرس بالحرم النبوي تعليقاً على رسالة ((النهي عن التفرق)) للشيخ سليمان رحمه الله :

((وبعد : فقد سبق استاذي رئيس علماء الحرم النبوي الشريف قاضي المحكمة المستعجلة بالمدينة المنورة إلى إزالة هذه البدعة ، فقد رُزق له السبق في العلم والعمل فجزاه الله خيراً عنا جميعاً وما قاله بعض من العلماء المتأخرين بخلافه فلا له أصل ولا نقل والخلف مبناه السلف لأنهم مشهورون بالإيمان بلسان النبوة على صاحبها الصلاة والسلام وقد قال المحدث شاه ولي الله الدهلوي الحنفي في رسالته الإنصاف : والحق أن أكثر صور الخلاف بين الفقهاء لاسيما في المسائل التي ظهر فيها أقوال الصحابه في الجانبين كتكبيرات التشريق إلخ ... انما هو في ترجيع أحد القولين وكان السلف لايختلفون في أصل المشروعية وإنما كان خلافهم في أولى الأمرين ونظيره اختلاف القراء في وجوه القراءات فهذا كاف لمن له عقل سليم وقلب كريم)) . (٢)

---

(١) ((رسالة في التوسل)) صفحة (٢٤)

(٢) ((رسالة في النهي عن التفرق)) صفحة (١٠)

- ويقول الشيخ محمد المصطفى العلوي الشنقيطي :

((أما بعد : فقدا طلعت على ماكتبه شيخنا الشيخ سليمان الموفق ، فوجدته هو الحق الذي أشرق وجمع فيه من الأدلة الواضحة ما تفرق ، وكنت له في غاية الانكار ، وقد بحثت قبل هذا في دواوين العلماء الأخيار عن هذا فما وجدت لهم إلا غاية التشنيع والإنكّار فجزاه الله خيراً حيث قام للدين بهذا الانتصار ولا يخالف في هذا إلا الجهال المتعصبين من غير دليل يصار والصلاة والسلام على النبي المختار)) . (١)-(٢)

---

(١) انظر ((رسالة في النهي عن التفرق)) صفحة (١٠) .

(٢) مصادر الترجمة حسب الاستفادة :

١- ((علماء آل سليم وتلامذهم وعلماء والقصيم)) الشيخ / صالح بن سليمان العُمري -رحمة الله- انظر (١/٥-٦) و (٢/٢٢٩-٢٤٤) .

٢- ((روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين)) الشيخ / محمد بن عثمان بن صالح القاضي انظر (١/١٤٧-١٤٩)

٣- ((علماء نجد خلال ثمانية قرون)) الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن البسام انظر (٢/٣٠٨-٣١٩)

٤- ((الأعلام) / خير الدين الزركلي .
انظر (٣/١٢٧)

٥- ((رسالة في التوسل)) و((رسالة في النهي عن التفرق)) الشيخ / سليمان بن عبدالرحمن العُمري-رحمه الله-

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده للتنبه للاستعداد ليوم معاده ، وأصغى سمعه للمواعظ ، فإنها سياط لقلوب الموفقين من عباده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة عبد مؤمن بلقائه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة إلى سبيل رشاده ، صلى الله عليه وعلى آله وآصحابه وأتباعه وأجناده ، وسلم تسليما ، أما بعد :

فهذه وظائف شهر رمضان المعظم ، رتبتها على عادة وعظ أهل وقتنا - بعد صلاة العصر - في المساجد ، فبلغت ستة وعشرين فصلاً، على عدد أيام الشهر ، غير الجُمع ، وخاتمة في الترغيب في صيام ستة أيام من شوال ، وأردفته بعشرة مجالس وظائف للعشر الأواخر من رمضان ، على عادة وعظ أهل قطرنا ووقتنا في ليالي العشر ، في فضل قيام آخر الليل ، وجعلت لكل فصل ومجلس خطبة ، وختمته بدعاء يسير جمعته من كتب العلماء ، وإنما جمعته لنفسي لأستغني به عن أهل وقتي .

وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

في البشارة بدخول رمضان والتهنئة فيه

الحمد لله الذي سلك بأحبابه منهج الصراط المستقيم، واختص بـالعناية من أتى إلى بابه بقلب سليم ، فسبحان من اختص أقواماً بخدمته ، وشغلهم بمحبته ، وما من موسم من هذه المواسم الفاضلة إلى ولله فيها وظيفة من وظائف طاعته ، يُتقـرب إليه بها ، ولله فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود عليه بفضله ورحمته ، فالسعيد من أغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات ، وتقرب بها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات ، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات ، فيسعد بها سعادة يأمن بها من النار ، وما فيها من اللفحات ، فياسعادة من قبُلت منه في شهره الأعمال ، ويا شقاوة من فرط في صيامه بالإهمال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

قال الله تعالى :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلـنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة / ١٥٨)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إِذَا جَاءَ رَمضَانُ فُتحَتْ أَبْوابُ الجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)) أَخرجاه (١)

وفي حديث أَبي هريرة رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان يقول :

((جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ : شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كُتِبَ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ ، فِيهِ تُفتَّحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيم ، وتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، فِيهِ ليلةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر : مَنْ حُرِم خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)) رواه الإمام أحمد والنسائي . (٢)

- قال عبدالعزيز ابن مروان: كان المسلمون يقولون عند حضرة شهر رمضان : اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر ، فسلمه لنا وسلمنا له ، وارزقنا صيامه وقيامه ، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد ، والقوة والنشاط ، وأعذنا فيه من الفتن .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الصيام) باب: ((هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعا)) حديث رقم (١٨٩٩) ومسلم في كتاب (الصيام) باب: ((فضل شهر رمضان)) حديث رقم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٨٦٣١) والنسائي في كتاب (الصيام) حديث رقم (٢١٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أَتَاكُمْ رَمَضَانُ سَيِّدُ الشُّهُورِ فَمَرْحَباً بِهِ وأَهْلاً ، جَاء شَهْرُ رَمَضَانَ بِالْبَرَكَاتِ فَأَكْرِم بِهِ مِنْ زائِرٍ هُوَ آت .

رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول :

((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَب وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ)) (١)

وقال مُعَلَّى ابن الفضل: كان السلف يدعون الله ستة أشهر : أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم .

قال يحى بن كثير : كان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه منى متقبلا .

أتي رمضان مزرعة العباد ، لتطهيرهم من الفساد ، قد جاء شهر رمضان فيه الأمان ، والعتق والفوز بسكنى الجنان ، شهر شريف ، فيه نيل المنى ، وهو طراز في كُم الزمان ، من لم يربح في هذا الشهر، ففى أي وقت يربح ؟ من لم يقرب فيه لمولاه فهو على بعده لايبرح ، فطوبى لمن تلقاه بعمل صالح ، وطهر فيه الجوارح ، من الآثام والقبائح . وكيف حال المفرط الذي يصوم ويأكل لحوم الإخوان ، ويصلي وجسمه في مكان وقلبه في مكان ، ويذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر فلان وفلان .

أين من صام عن الحرام وأفطر على الحلال ؟

أَين من منع لسانه من الغيبة والنميمة وكف عن القيل والقال؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٣٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٦٥): ((رواه البزار وفيه زائدة بن أبي الرقاد ، قال البخاري : منكر الحديث وجهلة جماعة)) ..



أين من أخلص صيامه لمولاه ذي الجلال ؟

اللهم اجعل التقوى لنا أربح بـــضاعة ، ولا تجعلنا في شـــهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة ، وآمن خوفنا يوم تقـــوم الســـاعة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثاني

فيما يجب على الصائم ويستحب

الحمد لله الحليم الستار ، المتفضل بالعطاء المدرار ، النافذ قضاؤه بما تجري به الأقدار ، يدني ويبعد ، ويشقي، ويسعد ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص/ ٦٨).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، مكور الليل على النهار .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طلع فجر واستنار ، وسلم تسليما .

اعلموا – رحمكم الله – أنه يجب على الصائم تقديم النية ومحلها القلب وهي لازمة في الصيام الواجب ، وهي اعتقاد القلب فعل الشيء وعزمه عليه من غير تردد ، ومحلها الليل كله ، ولو قبل الصبح بيسير . (١) .

ومما يجب على الصائم وغيره اجتناب كذب ، وغيبة ، وشتم ، وكف لسانه عن جميع مايُكره ، وينبغي أن يتلقى شهر رمضان بتوبة صادقة .

---

(١) لحديث حفصة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له)) أخرجه أبوداود في كتاب (الصيام) باب : ((النية في الصوم)) حديث رقم (٢٤٥٤) وأخرجه الترمذي في كتاب (الصيام) باب :((ماجاء لاصيام لمن لم يعزم من الليل)) حديث رقم (٧٣٠) والنسائي في كتاب (الصيام) حديث رقم (٢٣٤١) والإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٦٦١٤) وصححه الألباني في ارواء الغليل (٤/٢٥) .

وأعلموا أنه لايتم الصوم إلا باستكمال ستة أمور :

الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره .

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والغيبة والنميمة .

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل محرم أو مكروه .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام .

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام .

السادس : أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطرباً بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدري أيقبل صيامه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين ، وليكن ذلك في آخر كل عبادة .

ومن السنة تعجيل الفطور وتأخير السحور لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور)) . (١)

والسنة أن يفطر على رطب ، فإن لم يجد فعلى تمر ، فإن لم يجد فعلى ماء (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الصوم) باب : ((تعجيل الافطار)) حديث رقم (١٩٥٧) ومسلم في كتاب (الصيام) باب : ((فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره)) حديث رقم (١٠٩٨) من حديث سهل بن سعد، دون ((وأخروا السحور)) وإنما وردت في حديث عند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لاتزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر)) حديث رقم (٢٠٣٥٠) ولكن من طريق ابن لهيعة عن سا لم بن غيلان عن سليمان بن أبي عثمان عن عدي بن حاتم الحمصي عن أبي ذربه، وسنده هذا ضعيف فيه ابن لهيعة وليس الحديث من رواية أحد العبادلة عنه . وسليمان بن أبي عثمان مجهول .. انظر ارواء الغليل (٣٢/٤) .

(٢) وذلك لما ورد من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي ، فإن لم يكن فعلى تمرات ، فإن لم تكن تمرات حساحسوات من ماء)) أخرجه أبوداود (٢٣٥٦) والترمذي (٦٩٦) .

ويسن أن يدعو عند فطره بما ورد ، ومنه: ((اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت)) (١) .

وكان ابن عمرو يقول عند فطره :

((اللَّهمَّ إني أَسأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ التَّي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ أَنْ تغْفِرَلي)) (٢)

فاحفظوا رحمكم الله صيامكم بـالتفرد عن كل شـيطان مارد ، وتعرضوا لنفحات القبول ، واحسنوا الظن بالله والعقـائد (٣) ، فعليكم عبـاد الله بـفعل المندوبات ، واجتناب المحرمات ، والتورع عن المكروهات ، وبـادروا رحمكم الله بالأعمال الصالحة ، فبين أيديكم الصراط والحساب ، وأهـوال من سكرات الموت

---

(١) ورد من حديث انس رضي الله عنه : كان النبي صلى الله وسلم إذا أفطر قال: ((بسـم الله اللهم بـك صمت وعلى رزقك أفطرت)) أخرجة الطبراني في المعجم الصغير (١٣٣/٢) وفي الأوسط (٢٩٨/٧) وقال : تفردبه إسماعيل بن عمر ، وضعفه الألباني . . . انظر ارواء الغليل (٣٧/٤) . وورد عن ابـن عمر مرفوعاً: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : ذهب الظمأ وابتلت العـروق وثبت الأجر إن شاء الله)) اخرجه أبوداود حديث رقم (٢٠١٠) ، وحسنه الألباني في ارواء الغليل (٣٩/٤) .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب (الصيام) رقم (١٧٥٣) عن ابن أبي مليكة قال : سمعت عبدالله بـن عمرو يقول إذا أفطر ((اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفرلي)) . وضعف إسناده الألباني في إرواء الغليل (٤١/٤) .

(٣) وذلك لأن العقيده الصحيحة سبب لمنجاة صاحبها كما قال تعالى (يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتي الله بقلب سليم) قال ابن كثير –رحمة الله – ((أي سالم من الدنس والشرك ، قال ابن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتيه لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقال ابن عباس : إلا من أتى الله بقلب سليم حي يشهد أن لا إله إلا الله)) (٣٤٠/٣) ، وكما قال تعالى أيضاً (الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقدفسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم هنا بالشرك ..

صعاب ، ويوم تنقطع فيه الأرحـــام والأَنســـاب ، ولا ينفع فيه الأَهل والأَموال ، والأسباب : إما نعيم في الجنان ، أو تقلب في العذاب ، وكل ينادي بلسان الحسرات يا ويلتنا .. ما لهذا الكتاب .

فيا من قادهم الشـــهوات إلى الحفائر ، يا من دنس الحرام منهم البـــواطن والظواهر ، ويا من أعماهم الهوى فعميت منهم البصائر ، ألها كم التكاثر حتى زرتم المقابر .

كان خليل البصري يقول : كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً ، وكلنا قد أيقن بالجنة ، وما نرى لها عاملاً ، وكلنا قد أيقن بالنار ، وما نرى لها خائفاً ، فعلام تعرجون ، وما عسيتم تنظرون . الموت أول وارد عليكم من الله تعالى بخير أو بشر . فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً .

اللهم إنا نسألك أن تبدل منا الفساد بالصلاح ، والخسران بالأربـــاح ، وأن تعاملنا بالعفو والســـماح ، وأن تغفرلنا ولوالدينا وجميع المســـلمين الأحـــياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثالث

في فضل الصيام

الحمد لله غافر الذنب ، وإن تكاثرت الذنوب ، وقابل التوب ممن يتوب ، شديد العقاب عند قسوة القلوب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له : جابر الكسير ، وميسر العسير ، ومفرج الكروب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعظم مخلوق وأشرف محبوب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه عدد الشروق والغروب ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن الله - تبارك وتعالى - يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه يضاعفه أضعافاً كثيرة ، فضلاً منه وإحساناً . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ : الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمَائة ضِعْفٍ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ ، تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلى ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ريح الْمِسْكِ)) . (١)

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب (الصوم) باب : ((هل يقول : إني صائم إذاشتم)) حديث رقم (١٩٠٤) ومسلم في كتاب (الصيام) باب : ((فضل الصيام)) حديث رقم (١١٥٢) .

وفي رواية للبخاري :

((لِكُلِّ عَمَل كَفَّارَةٌ ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) (١) .

فعلى الرواية الأولى يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة ، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد ، بل يضاعفه الله أضعافاً كثيرة بغير عدد ، فإن الصيام من الصبر وقد قال الله :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر/ ١٠)

ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر (٢) .

---

(١) هذه الرواية أخرجها البخاري في كتاب (التوحيد) باب : ((ذكر النبي وروايته عن ربه)) حديث رقم (٧٥٣٨) وعند أحمد حديث رقم (١٠١٥٠) من حديث أبي هريرة بلفظ ((لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) .

(٢) ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر)) أخرجه النسائي في كتاب (الصيام) حديث رقم(٢٤١٠) وصححة الالباني ... انظر صحيح الجامع (٣٧١٨) .

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارم الله ، وصبر على أقدار الله .

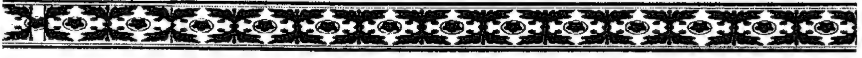
وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم ، فإن فيه صبراً على طاعة الله ، وصبراً عن محارم الله التي حرمها على الصائم من الشهوات ، وصبراً على مايحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن ، وهذا الألم الناشيء من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه .

فمن رحمه الله في هذا الشهر فهو المرحوم ، ومن حرمه خيره فهو المحروم ، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم .

فأعدوا لقدومه عدة ، واسألوا الله فيه التوفيق إلى أن تكملوا العدة ، فالحذر الحذر من التفريط والإهمال والتكاسل فيه عن صالح الأعمال ، فهمة الصالحين فيه الصيام والقيام ، والكف عن فضول الكلام ، والاشتغال بذكر الملك العلام .

إخواني : ما أحسن حال من التجأ إلى رب الأرباب ، ما أطيب حال من انتمى إلى كل صالح أواب ... ما أحسن حديث المحبين .. ما أطيب أخبار المتقين ... ما أربح بضائع العاملين .... ما ألذ عتاب المشتاقين ... ما أنفع بكاء المحزونين ... ما أعذب مناجاة القائمين ... ما أمرّ عيش المحجوبين ... ما أذل نفوس الخاطئين ... ما أسوأ حال المجرمين ، ما أعظم حسرة الغافلين ، ما أشنع عيش المطرودين .

اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل ، وخصنا فيه بالأجر الوافر والعطاء الجزيل ، واغفرلنا فيه كل ذنب عظيم ، وخفف ظهورنا من كل وزر ثقيل ،



وتقبل فيه يسير أعمالنا ، فإنك تقبل العمل القليل ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الرابـــع

في مُضاعفة الأَجر للأَعمال

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، القـــادر على تنفيذ مراده فيها ، رضيت بذلك أم غضبت .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة حَلَّت في القلوب وعلى الأَلسن حَلَت .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ثبتت طاعته ووجبت ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمس وغربت ، وسلم تسليما .

جاء في حديث سلمان في فضل شـــهر رمضان : ((من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما ســـواه)) (١) . وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : ((سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : صَدَقَةٌ في رَمَضَانَ)) (٢) .

---

(١) هذا جزء من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الطويل والذي أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٧) والبيهقـــي في شعب الإيمان (٣/٣٠٥-٣٠٦) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، ويوسف بـــن زياد وهو ضعيف جداً وانظرْ " الترغيب والترهيب " للمنـــذري (٢/٢٣) .

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال : ((سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصوم أفضل بـــعد رمضان فقال شعبان لتعظيم رمضان قيل : فأي الصدقة أفضل قال : صدقة في رمضان)) قال الترمذي هذا حـــديث غريب وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوى انظر كتاب (الزكاة عن رســـول الله) بـــاب ((ماجاء في فضل الصدقة)) حديث رقم (٦٦٣) وورد عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله : أي الصدقة أفضل قال : أن تصدق وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان أخرجه البـــخاري في كتاب (الوصايا) بـــاب : ((الصدقة عند الموت)) حديث رقم (٢٧٤٨) .

ومضاعفة الأعمال تكون بأسباب ، منها : شرف الزمان كرمضان ، ومنها : شرفُ المكان كالحرمين الشريفين ، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة كما ثبت ذلك في الحديث عن النبي صلى الله وسلم أنه قال : ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذا خَيرُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيما سِوَاهُ إلاَّ الْمسجِد الحْرَامَ)) (١) .

عباد الله سارعوا إلى الطاعات ، وحافظوا على الجُمَع والجماعات ، وجنبوا صيامكم الأمور المفسدات ، واحذروا على أعمالكم من المحبطات ، وأسألوا مولاكم أن ينقذكم من الهفوات ، وقوموا بالليل ، واسكبوا العبرات ، لعلكم تنجون من أهوال عسيرات .

اللهم تقبل منا اليسير من الأعمال ، وتجاوز عنا الكثير من سيئات الأعمال ، واغفرلنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة) باب: ((فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)) حديث رقم (١١٩٠) ومسلم في كتاب (الحج) باب : ((فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة)) حديث رقم (١٣٩٤) والترمذي في كتاب (الصلاة) باب: ((ماجاء في أي المساجد أفضل)) حديث رقم (٣٢٥) وأحمد في مسنده حديث رقم (١٥١٩) .

الفصل الخامس

في إضافة الله تبارك وتعالى الصوم له

الحمد لله الذي نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته وأطبقت على صمدانيته غرائب مبتدعاته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له في ذاته ولا في صفاته وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن العلماء اختلفوا في قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : (لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ والصَّوْمُ لي) الحديث (١) .

وأحسن ما قيل فيه ماقاله سفيان بن عيينة رحمه الله وهو : ((أنه إذا كَانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يُحَاسِبُ اللهُ عز وجل عَبْدَهُ وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنْ الْمَظَالِمِ مِنْ سَائر عَمَله ، حَتَّ لاَ يَبْقَى إلاَّ الصَّوْم فَيَتَحَمَّلُ الله مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِم ، ويُدْخِلُهُ بِالصَّوْم الْجَنَّة)) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢) .

وعلى هذا يكون المعنى : أن الصيام لله عز وجل ، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عزوجل ، وحينئذ فقد يقال : إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها ، فلا يبقي له أجر ، فإنه قد روى أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ، ويقتص لبعضهما من بعض ، فإن بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة ، قاله سعيد بن جبير وغيره .

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٣٠)

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٩٥) .

وأما على الرواية ((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به)) (١) فاستثناء الصوم من بين سائر الأعمال يرجع إلى أن سائر الأعمال للعبـــاد ، والصيام اختصه الله لنفسه من بين سائر أعمال عباده ، واضافه إليه ، فيكون المعنى : أن الصيام لله تبارك وتعالى فلا يستطيع أحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله ، ولا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجرة لصاحبـــه حـــتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيها .

إخواني : انظروا إلى بركة شهر رمضان ونفعه لكم في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيحميكم من الشهوات الموجبة للنار والعذاب ، وأما في الآخرة فتفوزوا بالعفو والرضى من الملك الوهاب .

قال منصور بن عمار الواعظ في بعض مواعظه لما ذكر شـــهر رمضان وذكر فضل صيامه وأجر قـــيامه ، وما أعد الله فيه لمن أخلص في الأعمال وتجنب الإهمال ، فلم يبك في مجلسه باك ، قال : ((يا قوم ألا باك على ماظهر من عيوبه ؟ ، ألا راغب إلى الله في غفران ذنوبـــه ؟ ، أما هذا شـــهر التوبـــة والغفران ، أما هذا معدن العفو والرضوان ؟ أما فيه تفتح أبواب الجنان ؟ أما فيه تغلق أبـــواب النيران ؟ أما فيه يصفد كل مارد وشيطان ؟ أما فيه تُفرق خلع الإحســـان؟ ، أما فيه يتجلي الملك الديّان ؟ فمالكم عن ثوابـــه غافلون ، وفي أثواب المخالفة رافلون ﴿ أفسحـــــر هذا أم أنتم لاتبصرون﴾ (الطور/ ١٤) . ﴿ فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (النور/ ٣٢) .

---

(١) تقدم تخريج هذه الرواية صفحة (٢٩)



اللهم إنك عفـــو تحب العفـــو فاعـــف عناً ، وتجـــاوز عنا ما اقترفناه من الذنوب .

واغفر اللهم لنا ، ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحـــم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السادس

في أَن الصيام من خصال الإِيمان

الحمد لله مسخر السحب السائرة ، ومجري الكواكب الزاهرة ، ومحي العظام الناخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أدخرها للآخرة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المؤيد بالمعجزات الباهرة ، وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب الفاخرة ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن الصيام من خصال الإيمان ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم رمضان في السفر في شدةِ الحر دون أصحابه ، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه :

((كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فِي رَمَضَانَ فِي سَفَر ، وأَحَدُنَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِن شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا فِينا صَائِمٌ إلاَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبْدُ الله بنُ رَوَاحَةَ)) (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الصوم) باب : ((إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر)) حديث رقم (١٩٤٥) ومسلم في كتاب (الصيام) باب ((التخيير في الصوم والفطر في السفر)) حديث رقم (١١٢٢) واللفظ له .

وفي الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم : كَانَ بـالْعَرْجِ يصبُّ عَلَى رَأسِهِ الْمَاء وَهُوَ صَائِم مِنَ الْعَطَشِ أَوِ الْحَر (١) .

فإذا اشتد توقان النفس إلى ماتشتهيه ، مع قدرها عليه ثم تركته لله عزوجل في موضع لايطلع عليها إلا الله عزوجل ، كان ذلك دليلاً على صحـة الإيمان ، فإن الصائم يعلم أن له ربا يطلع عليه في خلوته ، وقد حرم الله عليه أن يتناول شـهوته المجبول على الميل إليها في الخلوة ، فأطاع ربـه وامتثل أمره واجتنب نهيه ، خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه ، فشكر الله له ذلك ، واختص لنفسه عمله هذا من بين سـائر أعماله ، ولهذا قال (ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي) (٢) .

قال بعض السف : ((طوبى لمن ترك شهوة حاضرةً لموعد غيب لم يره)) فيا من فرط في الأوقات الشريفة وضيعها وأودعها الأعمال السيئة : بئس ماسـتودعها مضى شعبان وما أحسنت فيه ، وهذا شهر رمضان المبارك فاجتهد في أيامه ولياليه .

إخواني ما أحسن من خلع عليه مولاه خلع القبول ، وما أنعم بال من بـلَّغه غاية مقصوده والمأمول ، وما أشقي من رد عليه صيامه ، وأحصى عليه قبيحه وأثامه ومضت في البطالة شهوره وأعوامه ، وآثر شهوته على خدمة ربـه إلى أن ذهبـت ساعاته وأيامه .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب (الصيام) باب : ((ماجاء في الصيام في السـفر)) (١/٢٩٤) و(العَرْج): بفتـح العين وسـكون الراء ((قرية على أيـام من المدينة)) انظر ((النهاية في غريب الأثر /لابن الأثير)) (٣/٢٠٤) .

(٢) سبق تخريجه صفحة (٢٩)



إلهنا : إن كنت لاترحم إلا الطائعين فمن للعاصين وإن كنت لاتقبل إلا العاملين فمن للمقصرين .

إلهنا : ربح الصائمون ، وفاز القائمون ، ونجا المخلصون ، ونحن عبيدك المذنبون ، فارحمنا برحمتك ، وجد علينا بفضلك ، واغفرلنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السابع

في قوله تعالى : إلا الصيام فإنه لي

الحمد لله عالم السر والنجوى ، وكاشف الضرو البلوى ، الذي خلق فسوى ، والذي أخرج المرعى .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الذي لا رب سواه فيدعى .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى ، وسلم تسليما .

في قوله تعالى : ((إلا الصيام فإنه لي)) (١) . مايبين أن الصيام سر بين العبد وربه ، لايطلع عليه غيره ، لأنه مركب من نية باطنة ، لا يطلع عليها إلاَّ الله عزوجل ، وترك لتناول الشهوات التي يخفى تناولها في العادة ولذلك قيل لاتكتبه الحفظة وقيل : إنه ليس فيه رياء قاله الإمام أحمد وغيره ، وفيه حديث مرفوع مرسل (٢) .

---

(١) تقدم تخريجه صفحه (٢٩)

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الايمان (٣/٣٠٠) وقال : ((عن ابن شهاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((ليس في الصيام رياء)) هكذا روي بهذا الإسناد منقطعاً ورواه منصور بن عمار عن سهل مولى المغيرة بن أبي الصلت عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الصيام لارياء فيه قال الله هولي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه من أجلي)) . قال الحافظ ابن حجر - في الفتح (٤/١٠٧) : ((وقد روي الحديث المذكور البيهقي في الشعب من طريق عقيل وأورده من وجه أخر عن الزهري موصولاً عن أبي سلمة عن أبي هريرة وإسناده ضعيف)) . أ.هـ .

وهذا الوجه هو اختيار أبي عبيد وغيره وقـد يرجع إلى الأول (١) ، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لايطلع عليه إلا من أمره ونهاه دل هذا على صحة إيمانه ، والله سبحانه يحب من عباده أن يعاملوه سراً بينهم وبينه ، لا يطلع على معاملتهم إياه سواه ، حتى كان بعض السف يود لو تمكن من عبـادة لا يشـعرها الملائكة الحفظة .

وقال بعضهم : لما اطُلع على بعض سرائره : (وإنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه سراً) .

المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من يحبـهم ويحبونه .

نَسِيمُ صَبَا نَجـدٍ مَتىَ جِئْتَ حَامِلاً
تَحِيَّتَهُمْ فَاطْوِ الْحَدِيثَ عَنِ الرَّكْبِ
وَلاَ تُذِعِ السِّـرَّ الْمَصُونَ فَإِنَّنِي
أَغَارُ عَلَى ذِكْـرِ الْأَحِبَّةِ مِنْ صَحْبِي

---

(١) وقد ذكر ابن حجر – رحمه الله – في الفتح (٤/١٠٧–١١٠) أقوال العلماء في معنى قوله تعالى ((كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي بــه)) ومنها ماذكره – المؤلف – رحمه الله هنا ، فليراجع ..



فيا من يبارز بالعصيان و لم يستحِ من رقيبه ، وقد فات سبعة أيام من شـــهر رمضان وما فاز بمصالحة حبيبه ، وقد ذهب نسيم القبول وما تَنَشَّقَ عَرْفَ (١) . طيبه ، أما سمعت قول الملك المنان في شهر رمضان وترغيبه ؟ :

((الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزِي بِهِ))

****

مَنْ كَانَ يَشْكُو أَعظَمَ دَاءِ ذُنُوبِهْ

فَلْيَأتِ فِي رَمَضَانَ بَابَ طَبِيبِــهْ

وَيَفُوزُ مَنْ عَرَفَ الصِّيَامَ بِطِيبِهْ

أَوَ لَيْسَ قَـــالَ اللهُ فِي تَرْغِيبِهْ :

الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزِي بِهْ

****

يَا صَائِمِي رَمَضَانَ فُوزُوا بِالْمُنَى

وَتَحَقَّقُوا نَيْلَ السَّــعَادَةِ وَالْغِنَى

وَثِقُوا بِوَعْدِ اللهِ إِذْ فِيــهِ الْهَنَا

أَوَ لَيْسَ هَـــذَا مِنْ كَلَامِ إِلَهِنَا :

الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزِي بِهْ

---

(١) أي رائحته الطيبة ، قـــال الفيروزبادي في القامـــوس المحيط (١٠٨٠) : ((العَرْف : الريح ، طيبة أو منتنة ، وأكثر استعماله في الطيبة))

مَنْ صَامَ نَالَ الْفَوْزَ مِنْ رَبِّ الْعُلاَ

وَبوَجْهِهِ أضْحَى إلَيْهِ مُقْبِلا

يَا مَنْ يَرُومُ تَوَسُّلاً وَتَوَصُّلاَ

صُمْ رَغْبَةً فِي قَوْلِ رَبٍّ قَدْ عَلاَ :

الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزِي بِه

****

يَفُوزُ مَنْ لِلصَّوْمِ قَام بِحَقِّهِ

وَأَتَى بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَصِدْقِهِ

وَمِنْ الْجَحِيم نَجَا وَفَازَ بِعِتْقِهِ

فَاللهُ قَالَ عَن الصِّيَام لِخَلْقِهِ :

الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزِي بِه

****

رُوي عن أبي سليمان الداراني أنه صام يوماً في الحر ثم نام ، فرأى قائلا يقول : أتبيع ثواب صومك هذا اليوم بمائة ألف دينار ؟ فقال : لا وعزة ربي : فقيل بأي شيء تبيعه ؟ فقال لا أبيع الثواب بالدنيا وما فيها ، ولكن أبيعه بالنظر إلى المولى ، فقيل له : صم ، فسوف تراه إن شاء الله .

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تعفو عنا وترحمنا برحمتك الواسعة ، ياحي ياقيوم ، برحمتك نستغيث ، ومن عذابك نستجير ، لا إله إلا أنت .

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثامن

في قوله : (ترك شهوته وطعامه إلى آخره)

الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال ، وتوحدبالكبرياء والكمال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، لانفاد لحكمه ولا زوال .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكرمه الله بأشرف الخصال ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالغدوّ والآصال ، وسلم تسليما .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى في ذكر حال الصائم : ((ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي)) (١) إشارة إلى أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام ، والشراب ، والنكاح ، وهذه أعظم شهوات النفس ، وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد عديدة .

منها : خضوع النفس ، فإن الشبع والري ومباشرة النساء : تحمل النفس على الأشر والبطر ونسيان ذكر الله .

ومنها : تخلي القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات قد تقسي القلب وتعميه ، وتحول بين العبد وربه ، وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب ، ويوجب رقته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر .

---

(١) تقدم تخريجه صفحه (٢٩)

ومنها تكثير الثواب ، كما قال أبو أمامه الباهلي للنبي صلى الله عليه وسلم :
((دلَّني عَلى عَمَل آخُذُه عَنْكَ قَال : عَلَيْكَ بِالصَّوْم فَإِنَّه لاَ عدْلَ له)) (١) .

ومنها النجاة من العقـاب لما روي عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه قال :
((الصَّوْمُ جُنَّةٌ)) (٢) .

وروي ((الصوم جنة من النار ، كجنة أحدكم من القتال)) (٣) .

ومنها عفو رب الأرباب ، لقوله صلى الله عليه وسـلم ((أَتَا كُمْ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوسَطُهُ مَغْفِرَةُ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ)) (٤) .

ياقـوم ، ألا خاطب في هذا الشـهر إلى الرحمن ؟ ألا راغب فيما أعدّ الله للطائعين في الجنان ؟ ألا طالب لما أخبربـه من النعيم المقـيم ، مع أن الخبر ليس كالعيـان ؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٢١٢٤٥) وأخرجه النسائي بلفظ : ((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مرني بأمر آخذه عنك قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له))حديث رقم (٢٢٢٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٤٤) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في كتاب (الصيام) حديث رقم (٢٢٢٦) عن معاذ بن جبـل رضي الله عنه ، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسـنده حـديث رقـم (٩٥٧٠) عن أبي هريرة وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظ ((الصيام جنة)) .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب (الصيام) حديث رقـم (٢٢٣٣) وابـن ماجة في كتاب (الصيام) حديث رقم (١٦٣٩) والإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١٥٦٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٩) .

(٤) تقدم تخريجه صفحه (٣٣) حاشـية (١) .

مَنْ يُــــرِدْ مُلْكَ الْجِنَــان

فَلْيَـــــدَعْ عَنْهُ التَّـــوانِ

وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَــةِ اللَّيْــلِ

إلى نُـــــورِ الْقُــــرانِ

وَلْيَصِلْ صَــوْماً بِصَــوْمٍ

إنَّ هَــــذا الْعَيْشَ فَــانِ

فإنَّمَـــا الْعَيْــــشُ فِي

جوَارِ اللهِ : فِي دَارِ الأَمَانِ

فسبحان من اختص أقواماً بخدمته ، وشغلهم بمحبته فما لهم بغيره اشتغال ، صاموا عن الشهوات فمحا عنهم السيئات ، وبلغهم المقاصد والآمال ، أعانهم على الصيام فصاموا ، وأقامهم في الظلام فقاموا إلى خدمته في الليالي الطوال .

سمعوا في صحيح السنة ، أن ((الصوم جُنَّة)) (١) ، فحموا نفوســـهم من قبيح الفعال والمقال فيا سعادة من قُبلت منه في شهره الأعمال ، ويا شقاوة من فرط في صيامه بالإهمال .

اللهم اعتقنا من النار ، وأسكنا دار القرار ، واجعلنا من أوليائك الأبـــرار ، وامح عنا جميع الأوزار ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) تقدم تخريجه صفحه (٤٦)

الفصل التاسع

في قوله صلى الله عليه وسلم : (للصائم فرحتان)

الحمد لله الذي يحيينا بعد مماتنا ، وتكفل بأرزاقنا وأقواتنا ، وأمرنا بتوحيده في جميع أوقاتنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، إله يعلم ما نحن عليه من اسرارنا ونياتنا .

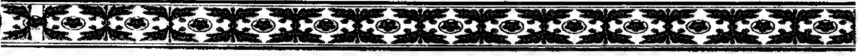
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما :

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)) (١) .

فأما فرحه عند فطره ، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من : مطعم ، ومشرب ، ومنكح ، فإذا مُنعت من ذلك في وقت من الأوقات ، ثم أبيح لها في وقت آخر ، فرحت بإباحة ما منعت منه ، خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه ، فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً ، فإن كان ذلك محبوبا إلى الله كان محبوبا شرعاً ، والصائم عند فطره كذلك . فكما أن الله حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات ، فقد أذن له فيها في ليل الصيام ، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره .

---

(١) تقم تخريجه صفحة (٢٩)



فأَحب عباده إِليه أعجلهم فطراً (١) والله وملائكته يصلون على المتسحـــرين (٢) فالصائم ترك شهواته لله بالنهار ، تقربا إليه وطاعة له ، وبادر إليها بالليل تقربا إلى الله وطاعة له ، فما تركها إلا بأمر ربه ، ولاعاد إليها إلا بـــأمر ربــه ، فهو مطيع له في الحالين ، فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقرباً إلى مولاه ، وأكل وشرب وحمد الله ، فإنه يُرجى له المغفرة وبلوغ الرضوان بـــذلك وفي الحديث ((إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أن يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أو يَشْرَب الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا)) (٣) .

---

(١) تقدم حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : ((لايزال الناس بخير ماعجلوا الفطر)) انظر صفحة (٢٦) .

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : ((السحور أكله بركة فلاتدعوه ولوأن يجرع أحـــدكم جرعة من ماء فإن الله عزوجل وملائكته يصلون على المتسحرين)) حديث رقم (١٠٦٦٤) وحسنه الألباني في صحـــيح الجامع (١٨٤٤) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب : ((استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب)) حديث رقم (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه أيضاً الترمذي في كتاب (الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ((بـــاب: ماجاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه)) حديث رقم (١٨١٦) ، والإمام أحمد في مسنده حديث رقم (١١٥٣٥) .

وربما استجيب له دعاؤه كما في الحديث المرفوع :

((ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ودعوة المسافر ودعوة المظلوم)) (١)

ومن فهم هذا المعنى المشار إليه لم يتوقف في معنى فرح الصائم عند فطره ، فإن فطره على الوجه الذي أشرنا إليه من فضل الله ورحمته ، فيدخل في قوله تعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس/٥٨)

ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال ، فإن كان فطره على حرام كان كمن صام عما أحل الله ، وأفطر على ما حرم الله عليه و لم يستجب له دعاؤه . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : في الذي يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ (٢) .

إخواني انتبهوا من رقدة الهجوع ، وافزعوا إلى الله تعالى بالتضرع والخضوع فكأنكم بالموت وقد فرق الجموع ، وأخلى القصور والربوع ، وأمطر عليهم سحائب الدموع ، وناداهم المشوق بطرف باك وقلب موجوع .

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٣٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الزكاة) باب : ((قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها)) حديث رقم (١٠١٥) والترمذي في كتاب (تفسير القرآن عن رسول الله) باب : ((ومن سورة البقرة)) حديث رقم (٢٩٨٩) والإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٧٩٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قيل لحسان بن أبي سنان : كيف تجدك ؟ قال : بخير إن نجوت من النار ، قيل له : ما تشتهي ؟ قال : ليلة طويلة أصليها كلها .

ويروى أن رجلاً جاء إلى مقبرة فصلى ركعتين خارجها ثم اضطجع ، فرأى في منامه صاحب القبر ، فقال له : ((ياهذا ، إنكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، والله لأن تكون ركعتان في صحيفتي أحب إلي من الدنيا وما فيها ؟))

اللهم برحمتك نرجوا ، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأصلح لنا شأننا كله ، لا إله إلا أنت ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل العاشـــــر

في قوله صلى الله عليه وسلم : وفرحة عند لقاء ربه

الحمد لله الذي لطف وأعان ، وإذا عطف صان ، أكرم من شاء ، ومن شاء أهان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، الحنَّان المنَّان .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المبـــعوث رحمة للإنس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً :

فأما قوله صلى الله عليه وسلم في فرح الصائم : ((وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)) (١) فهي ما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً ، فيجده أحوج ما كان إليه ، كما قال تعـــــالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وأَعْظَمَ أَجْراً ﴾ (المزمل/ ٢٠) . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَـــا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ (آل عمران / ٣٠) وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ ﴾ (الزلزلة ٧) .

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : إن هذا الليل والنهار خزانتان ، فانظروا ما تضعون فيهما .

فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشـــر ، وفي يوم القـــيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها ، فالمتقون يجدون في هذه الخزائن العز والكرامة ، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة .

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٢٩)

قَــدْ أُزْلِفَتْ جَنَّــةُ النَّعِيم فَيَا
طُوبى لِقَــوْمٍ بِرَبْعِهَا نَــزَلوُا
وَالْحُورُ تَلْقَاهُمُ وَقَدْ كُشِفَتْ
عَنِ الْوُجُوهِ الأسْتَارُ والْكُلَلُ
أَكْوَابُهُمْ عَسْجَدٌ يُطَافُ بِهَا
وَالْخَمْرُ والسَّلْسَبِيلُ وَالعَسَلُ

وفي الصحيحين يقول الله تعالى :

((أَعْدَدتُ لِعَبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر)) (١) .

وعند مسلم ((إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلم يَسأَل اللهَ خيراً مِنْ أمورِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ إلاَّ أعطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ)) (٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) باب : ((ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)) حديث رقم (٣٢٤٤) وأخرجه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب : ((صفة الجنة)) حديث رقم (٢٨٢٤) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب : ((في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء)) حديث رقم (٧٥٧) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ..

بِبَـــابِكَ عَبْـــدٌ مِنْ عَبِيـــدِكَ مُذْنِبُ

كَثِيرُ الْخَطَايَا جَاءَ يَسْأَلُكَ الْعَفْـــوَا

فَأَنْـــزِلْ عَلَّيَ الْعَفْوَ يَا مَنْ بِفَضْلِهِ

عَلَى قَوْمِ مُوسَى أَنْزَلَ المَنَّ والسَّلْوَى

اللهم آنسنا إذا أُودعنا في الألحاد ، ونسينا الأهل والعواد ، و لم يبق إلا عفوك ياكريم ياجواد ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المســـلمين ، الأحـــياء والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الحادي عشر

في قوله صلى الله عليه وسلم : ولخلوف فم الصائم ... إلى آخره

الحمد لله الذي أنعم على أوليائه بالمحبة .

وزهدهم في الدنيا فلم يرغبوا في مثقال ذرة أو حبه .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة من عرف ربه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من نصح الخلق ونبه .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فضلوا بالصحبة ، وسلم تسليما .

فأما قوله صلى الله عليه وسلم ((وَلَخُلُوفُ فَمِ الصّائِمِ أَطْيَب عِنْدَ اللهِ مِنْ ريح الْمِسْكِ)) (١) .

خلوف الفم رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، ولكنها طيبة عند الله ، حيث كانت ناشئة عن طاعة الله وابتغاء مرضاته ، كما أن دم الشهيد يجيءُ يوم القيامة يَعُب دماً : لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك . (٢)

---

(١) تقدم تخريجه صفحه (٢٩)

(٢) كما في حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لايكلم أحد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسكْ)) أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد) باب : ((من يجرح في سبيل الله)) حديث رقم (٢٨٠٣) .

وفي طيب ريح خلوف فم الصائم معنيان:

أحدهما أن الصيام لما كان سراً بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق ، ليشتهر بذلك أهل الصيام ، ويعرفون بصيامهم بين الناس ، جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا . قال مكحول: يُرَوَّح أهل الجنة برائحة فيقولون ربنا : ما وجدنا ريحا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذه الريح ، فيقال : هذه رائحة أفوه الصائمين ..

يا هذا اغتنم زمان الأرباح فأيام المواسم معدودة ، استدرك مابقي من ليالي الصوم ، فساعاته مشهودة ، جِدَّ في طلب الغنائم فأَعمال الصائم مقبولة .

وكيف لا يكون كذلك ، وقد منع نفسه الشهوات ، وترك اللذات ، فآثر نصيب مولاه على نصيبه من الملاذ والشهوات ، وأطاع أمر معبوده ، وتلذذ بركوعه وسجوده ... آهٍ على من كانت النار مثواه ، وعلى من عصى مولاه ، وباع آخرته بدنياه ، وعلى من كان التعذيب عقباه وعلى من استهواه غيه فاستعبده هواه ، وعلى المطرود في هذا الشهر عن باب مولاه .

اللهم لاتطردنا عن بابك بعيوبنا ، ولا تحرمنا من فضلك بذنوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والأَموات ، برحمتك ياأرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثـــاني عشـــر

المعنى الثاني : في طيب خلوف فم الصائم

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بـــفضله العميم ، إذ مَنَّ علينا بمحـــمد أفضل الخلق فهدانا إلى دين الحق والصراط المستقيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الكريم الحليم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله الذي خُصَّ بالقرآن والخُلُقِ العظيم ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين فازوا بالحظ الجسيم ، وســـــلم تسليما .

فأما المعنى الثاني : في طيب ريح خلوف فم الصائم فهو والله أعلم : أن من عبد الله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا نشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا ، لكن تلك الآثار غير مكروهة عند الله ، بل هي محبوبة له وطيبة عنده ، لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته ، فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا تطييب لقـــلوبهم ، لئلا يكره منهم ما وجد في الدنيا .

قال بعض السلف: (واعد الله موسى عليه الصلاة والســـلام ثلاثين ليلة أن يكلمه على رأسها ، فصام ثلاثين يوماً ثم وجد من فيه خلوفاً فكره أن يناجي ربه على تلك الحال ، فأخذ سواكا فاستاك ، فلما أتى لموعد الله إياه قال له : يا موســـى ، أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندنا من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشـــرة أيام أخرى) .

– عبادالله ، اعلموا أن الاعمار مقدرة بالشهور والأعوام ، والبقاء في الدنيا يفنيه مرور الليالى والأيام ، فساعات العمر بالعد ، وأوقات الحياة معلومة بـالحد ، فماظنكم بـعمر تفنيه الأنفاس بمرورها ، والليالى والأيام بـكرورها ، كيف يلهو صاحبه بلذاذة نفسه عن ذكر مماته ، ورمسه (١) .

إخواني : ارغبوا فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب ، وودعوا شـهر رمضان فقد عزم على الذهاب ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق البـاب ، فهذا شهر رمضان ، قد أزف رحيله ، وحـان تحويله ، فأكثروا فيه من الأعمال الصالحة وزودوه ، فلله در أقوام صاموا عن الشهوات ، وقاموا في الخلوات ، يرتلون القـرآن ترتيلا بقلوب وجلات ، فلورأيتهم وقت السحر : هذا يبـكي ويعدد ، وهذا يقـرأ ويردد ، وهذا يترنم بالقرآن فيطرب أسماعا ويسبي عقولا .

اللهم أيقظنا من نوم الغفلة ، ووفقنا لاغتنام أوقـات المهلة ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) قال في القامـوس ص (٧٠٨) : ((الرَّمْسُ : كتمـان الخبـر ، والدفـن ،والقبـر)) أ.هـ ،والمراد به هنا القبر .

الفصل الثالث عشر

في العشر الأوسط من رمضان

الحمد لله الذي خلق الأَنام ، وقدّر أرزاقهم من فضله ، وبين الحلال والحرام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له المَلِكُ القدوس السلام .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المختص بمزيد الإكرام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأماجد الكرام ، وسلم تسليما .

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ ، فاعْتَكَفَ عَاماً حَتى إذا كان لَيْلَةَ إحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ من صَبِيحَتِهَا مِنِ اعْتِكَافِهِ ، قال: مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ وقد أُريت هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، ثم أُنسيتُهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أسجد فِي مَاءٍ وَطِينٍ من صَبِيحَتِهَا ، فالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرَ ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وتر فَمَطَرَت السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وكَانَ المَسْجدُ عَلَى عَرِيش فوَكَف المَسْجدُ ، فَبَصُرَتْ عيناي رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عليهِ وَسَلَّمَ وعَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطين مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ)) (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الاعتكاف) باب : ((الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد)) حديث رقم (٢٠٢٧) وأخرجه مسلم في كتاب (الصيام) باب : ((فضل ليلة القدر والحث على طلبها ، وبيان محلها)) حديث رقم (١١٦٧) وأخرجه أبوداود في كتاب (شهر رمضان) باب : ((فيمن قال ليلة إحدى وعشرين)) حديث رقم (١٣٨٢) .

وهذا يدل على أنه اعتكف العشر الأوسط ابتغاء ليلة القدر ، ثم تبين له أنها في العشر الأواخر ، فاعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله تعالى .

عباد الله إن شهركم هذا قد مضى منه العشر الأول ، وها أنتم في العشر الأواسط ، الحذر الحذر من الزيغ والزلل ، هذه أوقات زواهر ما أشرفها ، وساعات كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصلاة وقراءة القرآن والتسبيح ، فاجتهدوا فيها على الإخلاص والصدق ، لعلكم تدركون الخلاص والعتق .

رُوي عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال : ((ما من يوم إلا والقبر ينادي خمس مرات بهذه الكلمة : يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وتأكلك الديدان في بطني ، يا بن آدم تضحك على ظهري ثم تبكي في بطني ، يا ابن آدم تفرح على ظهري وتحزن في بطني)) .

ورُوى أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَفَ عَلَى قَبر فَبَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّار فَلاَ تَبْكِي ، وتَبْكِي مِنْ هَذا ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ :

((القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلِ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجا مِنْهُ فَمَا بَعدَهُ أَيْسَرُ مِنهُ ، وإِن لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَد)) (١)

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب (الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) باب : ((ماجاء في فظاعة القبر وأنه أول منازل الآخرة)) حديث رقم (٢٠٨) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب (الزهد) باب : ((ذكر القبر والبلى)) حديث رقم (٤٢٦٧) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٤٢٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٤) .

حق على من يكون الموت مورده ، وظلمة القبر بعد الموت ملحـــده ، أن لا يرى حقاً إلا خائفاً وجلاً .

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وجد علينا إنك أنت الجوّاد الكريم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياءِ منهم والميتين ، بـــرحمتك يا أرحـــم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الرابع عشر

في أنه لايتم التقرب إلى الله بترك الشهوات إلا بترك المحرمات

الحمد لله علام الغيوب ، غافر الذنب وقابل التوب ممن يتوب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تمحى بها ظلمات الذنوب

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الشجعان في الحروب ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أنه لايتم التقرب إلى الله إلا بترك المحرمات ، كما في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُورِ والْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) . (١)

وفي الحديث الآخر: ((لَيْسَ الصيَامُ من الأكل والشرب ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنْ اللَّغْوِ وَالَّرفَثِ)). (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الصوم) باب : ((من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم)) حديث رقم (١٩٠٣) وأخرجه الترمذي في كتاب (الصوم عن رسول الله) باب : ((ماجاء في التشديد في الغيبة للصائم)) حديث رقم (٧٠٧) وأخرجه أبوداود في كتاب (الصوم) باب : ((الغيبة للصائم)) حديث رقم (٢٣٧٢) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب (الصيام) باب: ((ماجاء في الغيبة والرفث للصائم)) حديث رقم (١٦٨٩) .

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٣/٢٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فلتقل إني صائم إني صائم)) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٩٥) وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه)) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٦) .

قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الشراب والطعام ، ولله در القائل :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ
وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ
فَحَظِّي إِذاً مِنْ صَوْمِيَ الجُوعُ والظَّمَا
فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّه مِنْ صيامه الْجُوعُ وَالعَطَش وَرُبَّ قَائِم حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)) . (١)

فمن ترك المباحات تقرباً ، وارتكب المحرمات ، كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل ، وإن كان مجزياً عند الجمهور ، بحيث لايؤمر بالإعادة ، لأن العمل إنما يبطل بترك ما نهي عنه لخصوصه ، دون ارتكاب ما نهي عنه لغير معنى يختص به ، هذا هو الأصل عن جمهور العلماء .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٨٥٠١) واللفظ له ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب (الصيام) باب : ((ماجاء في الغيبة والرفث للصائم)) حديث رقم (١٦٩٠) وأخرجه الدارمي في كتاب : ((الرقاق)) باب : ((في المحافظة على الصوم)) حديث رقم (٢٧٢٣) والحاكم في المستدرك (٥٩٦/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الحاكم : ((هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه))

وفي مسـند الإمام أحمد ((أَنَّ امْرأتَيْن صَامَتَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكَادتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْرَضَ ثُمَّ ذُكِرَتَا لَهُ فَدَعَاهُمَا وَأَمَرهُمَا أَن يَقِيئا ، فَقَاءَتَا مِلْءَ قَدَح قَيْحاً وَدَماً صَدِيداً وَلَحـماً عَبيطاً ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : إنَّ هَاتَيْن صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا وَأَفطَرتَا عَلَى مَا حَـرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمَا : جَلَسَت إِحْـدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأكلاَن لُحُومَ النَّاسِ)) . (١)

عباد الله : ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير ، وما هذا التواني والعمر قـصير ، وإلى متى التمادي في البطالة والتقصير ، وما هذا الكسل وقـد أنذر النذير ، خلفكم والله عن باب الحبيب سوء التدبير ، فإلى متى التبهرج والناقد بصير ، تذكروا القيامة فالأمر شديد ، وبادروا بقيه أعماركم فالندم بعد الموت لايفيد ، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، وحاسبوا نفوسكم فعليكم رقـيب عتيد ، وتأهبـوا للموت فكأنكم به وقد أخذ الأحرار والعبيد ، ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ (ق/ ٢٠) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بـك من النار وما قرب إليها من قولٍ وعمل ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حـديث رقـم (٢٢٥٤٥) ، وقـال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/٣) : ((رواه كله أحمد وروى أبو يعلى نحوه وفيه رجل لم يسم)) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥١٩) .

الفصل الخامس عشر

في أن المؤمن يقدم رضى ربه على نيل شهواته

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ، وكتب سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وهو في قرار مكين.

وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق المنشىء ، المميت المحي ، تبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وأنصاره وأزواجه أمهات المؤمنين ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن المؤمن الصائم لما علم أن رضى مولاه في ترك شهواته ، لإيمانه باطلاع الله عليه وأن ثوابه وعقابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة : إيثاراً لرضى ربه على هوى نفسه ، ولهذا كثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعله لعلمه كراهة الله لفطره في هذا الشهر .

ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من علامات وجود الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذة الله منه كما يكره أن يقذف في النار (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الإيمان) باب : ((من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار من الإيمان)) حديث رقم (٢١) ومسلم في كتاب (الإيمان) باب : ((بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان)) حديث رقم (٤٣) .

عبادالله : أين أحبابكم الذين سلفوا ؟ ، أين أترابكم الذين رحلوا ، وتوفوا؟ أين أرباب الأموال وما خلَّفوا ؟ ، ندموا على التفريط ، فيا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد !؟ .

واعجباً ، كيف دُعيتَ إلى الله وتوانيتَ ؟ وكلما دعتك المواعظ إلى الله أبيت وتماديت ، وكم نهاك مولاك عن غيك فما انتهيت ، يا من جسده حي وقلبه ميت؟ ستعاين عند الحسرات والسكرات ما لم يكن يخطر ببالك ولا دريت .

عبادالله : هذا شهر رمضان قد عزم على الانصراف والانصرام ، ونوى النقلة عنكم والرحيل بعد المقام ، وهو شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام ، طالما عَمُرت به القلوب ، واندرست (١) به معالم الذنوب والآثام ، وقد كان لكم نعم الضيف ، فهل أضعتم حقه أو قمتم بما يجب له من الإكرام ؟ فلعل المسوّف فيه بالتوبة لايدركه بعد هذا العام ، فيندم حين لاينفع الندم ، ويتأسف على تفريطه إذا زلت به في القيامة القدم ، فاستدركوا فيه ماقد مضى ، فإنما الدنيا كمثل المنام ، فالسعيد من بادر هذه البقية بالاغتنام ، والشقي من جعل هذه البقية بغفلته كالأعدام .

وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال ، وجنبنا وإياكم سيئات الأعمال .

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) أي انمحت وانطمست ..

الفصل السادس عشر

في فضل الجود في رمضان

الحمد لله الكريم المنان ، يغفر لمن يشاء بفضله ، ويعذب من يشاء بعدله ، لا إله إلا هو ذو الجلال والإحسان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة تنجي قائلها من عذاب النيران .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي : آخر الرُسل والأنبياءِ بَعْثًا وَأوَّلهم دخولا في الجنان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أُولي العلم والحلم والشجاعة والعرفان وسلم تسليما .

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ ، حِينَ يَلْقَاهُ جبْريلُ وكان جبريل يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَة من رمضان فَيُدَارِسهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ صلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَد بِالْخَيْر مِنَ الرِّيح الْمُرْسَلَةِ)) (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) باب : ((ذكر الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم)) حديث رقم (٣٢٢٠) وأخرجه مسلم في كتاب (الفضائل) باب : ((جودة صلى الله عليه وسلم)) حديث رقم (٢٣٠٨) .

والجود هو سعة العطاء وكثرته ، والله سبحانه يوصف بالجود .

فالله سبحانه أجود الأجودين ، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان ، وفيه أنزل قوله : ﴿وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِني قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة / ١٨٦) .

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره في فضل شهر رمضان : -

((ينادي مناد : يا باغي الخير هلم ، ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار ، وذاك في كل ليلة)) (١)

وفي الصحيحين عن أنس قال :

((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاس ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ)). (٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٢٢٣٩٣) والنسائي في كتاب (الصيام) حديث رقم (٢١٠٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير) باب : ((إذا قرعوا بالليل)) حديث رقم (٢٠٤٠) - ونصه - عن أنس رضي الله عنه قال : ((كان رسول الله صلى عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس قال : وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً قال : فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُري وهو متقلد سيفه فقال : لم تراعوا لم تراعوا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته بحراً يعني الفرس)) قلت والبحر الفرس السريع الجري ، وأخرجه مسلم في كتاب (الفضائل) باب ((شجاعته صلى الله عليه وسلم)) حديث رقم (٢٣٠٧) .

وفي صحيح مسلم :

((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلاَم شَيْئاً إلاَّ أَعطَاهُ قال: فَجَاءَه رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْن فَرجَعَ إلى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخْشَي الْفَاقَةَ)) . (١)

عباد الله : احذروا أن تصبحوا عن طريق الهدى حائدين ، وتعاهدوا على التوبة فتضحوا غادرين ، وقوموا إلى خلاص أنفسكم مبادرين ، ولا زموا خدمة مولاكم في هذا الشهر المبارك حامدين له شاكرين ، واحذروا أن تكونوا عن ربح المتقين خاسرين ، فكأني بكم وقد أقبل إليكم الموت فأخذكم وأنتم على التفريط مقيمين ، حق على من يكون الموت مورده ، وظلمة القبر بعد الموت ملحده ، أن لايرى قط إلا خائفاً وجلاً .

اللهم يا من عم البرية جوده وإنعامه ، تفضل علينا بعفوك وجودك وغفرانك واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الفضائل) باب : ((في سخائة صلى الله عليه وسلم)) حديث رقم (٢٣١٢) عن أنس بن مالك رضي الله ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٢٣٢٨) .

الفصل السابع عشر

في جوده صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي فطر الأرض والسموات ، الكريم الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، الذي خص أحبابه بالكرامات

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات الباهرات ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وذريته وأزواجه الطاهرات ، وسلم تسليما .

كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وابتغاء مرضاته ، فإنه كان يبذل المال للغير محتاج وينفق في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام ، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده ، فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك ، مثل كسرى وقيصر ، ويعيش في نفسه عيش الفقراءِ ، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار ، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع (١) .

---

(١) عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت تقول : ((والله يا بن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أو قد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار . قلت : ياخالة ، فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار : وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه)) . أخرجه البخاري حديث رقم (٦٤٥٩) ، ومسلم (٢٩٧٢) وعن أنس رضي الله عنه ، قال : جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فوجدته جالساً ، وقد عصب بطنه بعصابه ، فقلت لبعض أصحابه : لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه ؟ فقالوا : من الجوع . فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم فقلت : يا أبتاه قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقالوا : من الجوع . فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء ؟ فقالت : نعم ، عندي كسر من خبز وتمرات ، فإن جاءنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه ، وإن جاء آخر معه قل عنهم)) . أخرجه البخاري حديث رقم (٣٥٧٨) ومسلم حديث رقم (٢٠٤٠) .

وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شـــهر رمضان على غيره من الشهور ، كما أن جود ربه يتضاعف فيه ، فإن الله قد جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة ، وكان على ذلك قبل البـــعثة ، ثم كان بـــعد الرســـالة : جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك .

عباد الله : هذا شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم حاسب فيه نفســـه وانتصف .

من منكم قام في هذا الشهر بحقه الذي عرف ؟

من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يُبنى له فيها غرف من فوقها غرف ؟ ألا إن شهركم قد أخذ في النقص ، فزيدوا أنتم في العمل ، فكأنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أن يكون منه خلف ، وأما شـــهر رمضان فمن أين يكون لكم منه الخلف ! ؟ :

تَنصَّفَ الشَّهرُ والَهفَاهُ وَانْصرَمَا
وَاختُصَّ بِالْفوْزِ بِالْجَنَّاتِ مَنَ خدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمِسْكِينُ مُنْكَسِراً
مِثْلي فَيَا وَيْحَـــهُ يا عُظْمَ مَا حُرِمَا
مَنْ فَاتَه الزَّرْعُ فِي وَقْتِ الْبِذَارِ فَمَا
تُـــرَاهُ يَحْصُدُ إلاَّ الْهَـــمَّ وَالنَّدَمَا
طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ التقْوَى بِضَاعَتَهُ
فِي شَهْرِه وَبِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِما

عباد الله : رحل الأحباب إلى القبور وسترحلون ، وتركوا الأموال والأوطان وستتركون ، وتجرعوا كأس الفراق وستتجرعون ، وقدِموا إلى ما قدَّموا وستقدمون وندموا على التفريط في الأعمال وستندمون ، ووقفوا ببصائرهم على الأهوال وستقفون ، وسئلوا عما عملوا وستسألون ، ويود أحدهم لو يفتدي بالمال وستودون فبادروا بالمتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ، فكيف بك يا ابن آدم إذا نفخ في الصور ، وبعثر ما في القبور ، وحُصِّل ما في الصدور ، وضاقت الأمور ، وظهر المستور ، وخرج الخلائق من القبور ، فإذا هم قيام ينظرون ؟ فيا له من يوم عظيم فيه الزلزال ، وسيرت الجبال ، وترادفت الأهوال ، وانقطعت الآمال ، وقلَّ الاحتيال ، وخسر أصحاب الشمال ، وخرجوا من القبور ، بنفخة الصور يرجفون ، فإذا هم قيام ينظرون .

اللهم آنسنا إذا انفردنا بالألْحاد ، وحضرنا في الموقف يوم الميعاد ، ولاتبعدنا عن جنابك يارؤوفاً بالعباد .

واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثامن عشر

في استحباب دراسة القرآن في شهر رمضان

الحمد لله الذي خص أولياءَه بالكرامة ، وجعلهم خلفاء نبيه المبعوث بالرحمة والاستقامة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تنجي قائلها يوم الحسرة والندامة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : الشفيع المشفَّع في عرصات القيامة ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بالسيف والسلامة ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أنه يستحب دراسة كلام الله في كل زمان ، ويتأكد في رمضان ، لاسيما في ليله .

وفي حديث ابن عباس : أنَّ الدِّرَاسَةَ بَيْنَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ جِبْرِيلَ كَانَتْ لَيْلاً (١) فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان في الليل ، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ، وتجتمع فيه الهمم ، ويجتمع فيه القلب واللسان على التدبر ، وشهر رمضان له خصوصيْة القرآن كما قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ ﴾

قال ابن عباس : ((نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدةً مِنْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إلىَ بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)) (٢)

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٦٧) .

(٢) اخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره (٢/١٤٥) .

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ((بُدىء بالوحي ونزل عليه القرآن في شهر رمضان)) (١) .

وقد كان السلف يتلون القرآن في كل شهر رمضان في الصلاة وغيرها .

كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين ، وفي بقية الشهر كل ليلة . (٢)

وكان للشافعي رحمه الله في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير صلاة ، وكان عادته في غير رمضان يختم في كل ثلاث ليال ، وفي العشر الأواخر يختم كل ليلة في الصلاة .

وكان الزهري يقول : إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام .

وقد ورد في الأثر : ((القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان)) . (٣)

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها ، سواء كان تحريمه يختص بالطعام والشراب والنكاح ، أو لا يختص به ، كشهوة قول الكلام المحرم ، والنظر المحرم ، والسماع المحرم ، والكسب المحرم ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها ، فإنه يشفع له عند الله ، يقول : يارب منعته شهواته فشفعنى فيه ، فهذا لمن

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢/١٤٥) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١٢٦)

(٢) أي يقرأ القرآن كل ليلتين سائر السنة وفي شهر رمضان كل ليلة ..

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٦٣٣٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢) .



حفظ صيامه ومنعه من شهوته ، فأما من ضيع صيامه و لم يمنعه مما حــرم الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ، ويقــول ضيعك الله كما ضيعتني ، كما ورد مثل ذلك في الصلاة . (١)

عباد الله : هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القــرآن وفي بقــيته للعابــدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يتلى بين أظهر كم ويسمع ، وهو لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع ، ومع هذا فلا قلب يخشــع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام فيرجى لصاحبه أن يشفع ، قلوب خلت من التقوى ، فهي خراب بلْقَع (٢) .

---

(١) رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســلم : ((من صلى الصلوات لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وســجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلاها لغير وقتها ، و لم يسبغ لها وضوءها و لم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ، ولاسجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، حتى إذا كانت حــيث شــاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ، ثم ضرب بها وجهه)) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/٢٦٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٣٠٢) : ((رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه)) .

(٢) ((**البلْقَع** : قال في القاموس (٩٠) : هي الأرض القفر)) أ.هـ فكأن هذه القلوب قد أقــفرت وخلت من التقوى ..

وتراكمت عليها الذنوب فهي لاتبصر ولا تسمع ، أين نحن من قـــوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة ؟ وإذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم وجلتها جلوه (١) وإذا صاموا صامت منهم الأسماع والأبصار ، فما لنا فيهم أسوة ؟

اللهم رحمتك نرجو ، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، واصلح لنا شأننا كله ، لا إله إلا أنت ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) أي علتها الخشية وأخذت بمعظمها ، وانظر القاموس المحيط (١٢٦٤) .

الفصل التاسع عشر

في أن القرآن يشفع لمن حفظه وقام بحقه

الحمد لله الذي اختص من مخلوقاته الإنسان ، ودفع عنه بكرمه الخطأ والنسيان .

وأشهد أن لا إله إلا الله القديم المحمود بكل لسان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات القرآن ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وذريته ذوي الولاية والإحسان ، وسلم تسليما .

رَوى الإمام أحمد عن بريدة مرفوعاً : ((إنَّ القُرآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يومَ القِيامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ كالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فيقُولُ لَهُ : هَلْ تعرفني فيقول ما أعرفك فيقول : أَنَا صَاحِبُك القرآن الَّذِي أظمَأتُكَ فِي الهَوَاجر ، وأَسْهرتُ لَيْلَكَ وإن كُلَّ تَاجر مِنْ وَرَاء تجارَتِهِ ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بيَمِينِهِ ، والْخُلْدَ بِشمَاله ويُوضَعُ عَلَى رأسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ويُكسى والداه حلتين لايقوَّم لها أهلَ الدنيا فيقولان : بم كسينا هذه فيقال : بأخذ ولد كما القرآن ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ واصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ ، وَغُرُفِهَا ، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ : هَذَّاً كان أَوَ تَرْتِيلاً)) . (١)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٢١٨٧٢) عن بريدة بزيادة في أوله قال : ((كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنها الزهراوان يظلان صاحبها يوم القيامة كأنها غمامتان أو غياتيان أوفرقان من طير صواف .....)) الحديث .. وأخرجه الدارمي في كتاب (فضائل القرآن) باب : ((في فضل سورة البقرة وآل عمران)) حديث رقم (٣٣٩٤) .

مَنَعَ القُرانُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ
مُقْلَ العُيُونِ بِلَيْلِهَا : لاتَهْجَعُ
فَهِمُوا مِنَ المَلِكِ الْجَلِيلِ كَلاَمَهُ
فَهماً تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْشَعُ

قال ابن مسعود رضى الله عنه : ((ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بـليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس يفطرون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبورعه إذ الناس يخلطون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون)) .

عباد الله : أما تعتبرون بهذه الأحوال ؟ أما تشفقون من نار جهنم والأنكال ؟ أما تحذرون سلاسلها والأغلال ؟ فقد روى مسلم من حديث شقيق عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يومئذ لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُون أَلْفَ مَلَك يَجُرُّونَهَا)) . (١) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب : ((جهنم أعاذنا الله منها)) حديث رقم (٢٨٤٢) ، وأخرجه الترمذي في كتاب (صفه جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) باب : ((ماجاء في صفه النار)) حديث رقم (٢٥٧٣) .

وفي حديث مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجْبةً فَقَالَ : النبي صلى الله عليه وسلم تَدْرُونَ مَا هَذا ؟ قال : قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هَذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّار مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ ، حَتَّ انتهى إلى قَعْرِهَا)) . (١)

فيا عباد الله : الأمر شديد ، والخطب جسيم ، فعليكم بالجد والاجتهاد في هذا الشهر الشريف في الأعمال الصالحة ودراسة كتاب الله والعمل فيه .

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واعف عنا بعفوك يا كريم ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب: ((جهنم أعاذنا الله منها)) ، حديث رقم (٢٨٤٤) وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (٨٤٨٤) .. وقال النووي - رحمه الله - في شرح مسلم (١٧٩/١٧) : ((قوله : سمع وَجْبة ، هي بفتح الواو وإسكان الجيم وهي السقطة)) أ. هـ .

الفصل العشـــرون

في الوعيد على من أعطاه الله القرآن فنام عنه ولم يعمل به

الحمد لله اللطيف الخبـــير ، مجيب دعوة المضطرين ، وراحـــم الضعفاء والمساكين ، فسبحانه وتعالى الحكيم العليم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله البشـــير النذير ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه أهل الجد والتشمير ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أنه ورد الوعيد الشديد على من أعطاه الله القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به في النهار ، كما روى الإمام أحمد في مسنده من حـــديث سَمُرَةَ رَضِي الله عنه : ((أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي مَنَامِهِ رَجُلاً مستلق عَلى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بـــيده فِهْرٌ أَوْ صَخْرَةٌ ، فَيَشْدَخُ بها رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ فَإذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذا رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القـــرآن فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فِي النَّهَارِ ، فَهُوَ يُفعل بِهِ مارأيت إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) (١) .

فيا من ضيع عمره في غير الطاعة ، ويا من فرط في شـــهره ، بـــل في دهره وأضاعه ، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة ، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشـــفاعة ؟ ويل لمن جعل شفعاءه خصماءه ، والصور يوم القيامة ينفخ ، رُب صائم حظه من صـــيامه الجوع

---

(١) هذا لفظ الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٩٣٠٦) وقـــد ذكره المؤلف مختصراً وأخرجه أيضاً البخاري في كتاب (الجنائز) باب : ((ما قيل في أولاد المشركين)) حديث رقم (١٣٨٦) ..



والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه التعب والسهر ، كل قيام لاينهى عن الفحشاء والمنكر لايزيد صاحبه إلا بُعداً ، وكل صيام لايصان عن قول الزور والعمل بـــه لا يورث صاحبه إلا مقتاً :

يَا نَفْسُ فَازَ الصَّالِحُـــونَ بِالتُّقَى
وَأَبْصَرُوا الْحَــقَّ وَقَلْبِي قَدْ عَمِي
يَا حُسْــنَهُمْ وَاللَّيْلُ قَــدْ جَنَّهُمْ
وَنُـــورُهُمْ يَفُوقُ نُــورَ الْأَنْجُمِ
تَرَنَمَّــوُا بِالذِّكْــرِ فِي لَيْلِهِــمْ
فَعَيْشُــهُمْ قَدْ طَــابَ بِالتَّرَنُمِ
قُلُــوبُهُمُ لِلذكْرِ قَــد تَفَرَّقتْ
دُمُــوعُهُــمُ كَلُؤْلُؤ مُنْتَــظِمِ
أَسْحَارُهُمْ بِهِــمْ قَدْ أَشْرَقَتْ
وَخِلَعُ الرِّضْوَانِ خَيْرُ الْمقسمِ
وَيْحَــكِ يَا نَفسُ أَلا تَيَقَّــظِي
بِنَفْــعٍ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَــدَمِي !؟
مَضَى الزَّمانُ فِي تَــوَانٍ وَهَوى
فَاسْتَدْرِكِي مَا قَدْ بَقِي واغْتَنِمِي

اللهم لا تجعل القرآن لنا مماحلاً (١) ، ولا الصراط زائلاً ، ولا محمداً صلى الله عليه وسلم عنا معرضاً ، واجعله لنا شافعاً مشفعاً ، وأوردنا حوضه ، واسقنا منه شربة لانظمأُ بعدها أبداً ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأَحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) قال في القاموس (١٣٦٥) : ((المَحْلُ : المكر والكيد ... وماحله مما حلة ومحالاً : قاواه حتى يتبين أيهما أشد)) أ.هـ والمعنى أي لا تجعل القرآن معادياً لنا وكائداً علينا ..

الفصل الحادي والعشرون

في فضل العشر الأَواخر من رمضان

الحمد لله الذي شرفنا بخاتم النبيين ، إذْ كُنَّا خير أمة أخرجت للعالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله : الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه إلى يوم الدين ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ، ويخصها طلباً لليلة القدر .

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كَانَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)) . (١)

- ولمسلم عنها قالت :

((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا)) . (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (فضل ليلة القدر) باب : ((العمل في العشر الأواخر من رمضان)) حديث رقم (٢٠٢٤) .. وأخرجه مسلم في كتاب (الاعتكاف) باب : ((الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان)) حديث رقم (١١٧٤) .

(٢) أخرجه مسلم في نفس الكتاب والباب السابقين ، حديث رقم (١١٧٥) .

وفي المسند من وجه آخر عنه قالت :

((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلِطُ العِشْرِينَ بِصَلاَةٍ وَنَوْمٍ ، فَإِذَا كَانَ الْعَشْرُ شَمَّرَ وَشَدَّ المِئْزَرِ)) (١)

وفي حديث أبي ذر: ((أنه صلى الله عليه وسلم لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ذكر أنه دعى أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة)) (٢) . وهذا يدل على أنه يتأكد إيقاظهم في أكثر الأوتار التي يرجى فيها ليلة القدر .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه يخص العشر الأواخر ، ويعتكف فيها ، واعتكف نساؤه بعده (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٣٩٨٣) .

(٢) المؤلف -رحمه الله- ذكر الحديث بمعناه، وقد أخرج الحديث أبو داود في سننه في كتاب (الصلاة) باب : ((في قيام شهر رمضان)) حديث رقم (١٣٧٥) عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ((صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم بنا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت يارسول الله لو نفلتنا هذه الليلة قال : فقال إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة قال : فلما كان الليلة الرابعة لم يقم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح . قال : قلت وما الفلاح قال : السحور ثم لم يقم بقية الشهر)) وأخرجه الترمذي في كتاب: (الصوم عن رسول الله) حديث رقم (٨٠٦) والنسائي في كتاب (السهو) حديث رقم (١٣٦٥) وابن ماجه في كتاب (إقامة الصلاة والسنة فيها) حديث رقم (١٣٢٧) . والإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٠٤٥٠) ..

(٣) كما في حديث عائشة رضي الله عنها ((أنه النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده)) أخرجه البخاري في كتاب (الاعتكاف) باب : ((الاعتكاف في العشر الأواخر)) حديث رقم (٢٠٢٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب (الاعتكاف) باب: ((اعتكاف العشر الأواخر من رمضان)) حديث رقم (١١٧٢) .

عباد الله ، عليكم بالاجتهاد في هذه العشـــر الفواضل ، لعل الله ينجيكم من النار التي لاتقوم لها الجبال الصم البواذخ (١) ، فكيف بعظامنا الدقيقـــة ، وجلودنا الرقيقة فنعوذ بالله منها .

قال تعالى في محكم الكتاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـــآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِم نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ (النساء/٥٦) .

فإنهم كانوا يفرحون بـــدار الغرور ، وينؤن عن النفخ في الصور ، ويغترون بالأمان والزور . فقال في حقهم من يعدل في الحكم ولايجور .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَيُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا . كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (فاطر/ ٣٦،٣٧)

لهم فيها بكاء وزفير ،وعذاب وسعير :

– كما قال سبحانه ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعملْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَاَّ يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر/٣٧).

فيا من سمع بذكر النار حتى كأنه شاهدها عياناً ما هذا الأمل والرَّحيل قـــد دَنَى ، يا مقبلاً على لذاته و لم يأْخذ من هول الموقف أماناً ؟

اللهم اعتقنا من النار ، وسلمنا من دار الخزي والبـــوار ، وأدخلنا الجنة دار القرار ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأَحـــياء منهم والميتين ، بـــرحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) قال في القاموس (٣١٨) : ((تبذخ : تكبر ، وعلا وشرف ، باذخ : عال . وجبال بـــواذخ)) أ.هـــ.

الفصل الثاني والعشرون

فيما يُخَص به العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذي انفرد بأسمائه الحسنى ، المختص بالرحمه والجبروت والملك الأسنى ، المتفضل بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين وأولاهم الحسنى ،و لم يؤاخذهم بوهم ولا تخييل ، فله الأسماء الحسنى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له : الملك القدوس ، الذي وسع كل شيء رحمة وعلما .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بقربه في الفردوس الأعلى ، وسلم تسليما .

قد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر شمر وشد المئزر ، فاختلف العلماء في تفسيره : فمنهم من قال : إنها كناية عن جده واجتهاده في العبادة ، كما يقال : فلان شد وسطه وسعى في كذا ، ومنهم من قال : المراد بذلك اعتزاله النساء ، وبذلك فسره السلف والأئمة ، منهم الثوري وغيره (١) ، وقد ورد ذلك صريحاً في حديث عائشة رضى الله عنها وأنس ، وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان وفي حديث أنس : وطوى فراشه واعتزل النساء (٢) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم غالباً يعتكف العشر الأواخر ، والمعتكف ممنوع من النساء من قربانهن بالنص والإجماع (٣) .

---

(١) انظر في حكاية هذه الأقوال فتح الباري (٤/٢٦٩)

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/١٣) رقم (٢٣٣٠) .

(٣) أما النص فقوله تعالى: ﴿ولاتباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ الآية (١٨٧)/البقرة ، وأما الإجماع فقال ابن عبدالبر – رحمه الله – في التمهيد : ((أجمع العلماء أن المعتكف لايباشر ولايقبل واختلفوا فيما عليه إذا فعل ذلك)) (٨/٣٣١) .

وقال ابن جرير : كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر ، وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة ، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالى التي تكون أرجى لليلة القدر وقال ثابت البناني :

كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم ، كان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

عبادالله : ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير ؟ وماهذا التواني والعمر قصير ؟ وإلى متى هذا التمادي في البطالة والتقصير ؟ وما هذا الكسل وقد أنذر النذير ؟ يا معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض وقد ولى شبابك في طلب الأعراض ، أما علمت أن العمر في انقراض ؟ وقواك في كل ساعة في انتقاض ، ويحك ، تزود فالسفر بعيد :

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق/ ١٩) .

فعليك بالجد والاجتهاد في هذه الساعات والأيام ، والليالى العظام ، فإنها قد آذنت بانصرام ، واجتهدوا في هذا الشهر المبارك الشريف .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((أُعْطِيتْ أُمتي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قبلهم :

خَلُوفُ فَم الصَّائِم أَطْيَبُ عندالله من رِيح المِسْكِ وتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، ويُزَيِّنُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ثم يَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادي الصالحون أَن يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمُؤْنَةَ وَالأَذَى ويَصِيرُوا إِلَيْكِ ، ويُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِين ، فَلا يَخلُصُوا إِلَى مَاكَانُوا يَخْلُصُونَ إليه فِي غَيْرِه ، ويُغْفَر لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَة .



قيل : يَارَسُولَ اللهِ أَهِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ؟

قَالَ : لاَ . وَلَكن العامِلِ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ)) (١) .

اللهم جد علينا بالعفو والإحسان ، والعتق من النيران ، واغفرلنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٧٥٧٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٤٠) : ((رواه أحمد والبزار وفيه هشام بن زياد أبو المقدام وهو ضعيف)) وقال ابن عبدالبر في التمهيد (١٦/١٥٤) : ((هشام بن أبي هشام هذا هو هشام بن زياد أبو المقدام وفيه ضعف ، ولكن محتمل فيما يرويه من الفضائل)) .

الفصل الثالث والعشرون

في أَن الصيام جُنة من النـــار

الحمد لله المبـــدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، الذي خلق الخلق فمنهم شقـــي وسعيد ، فهذا أسعدة فقربه ، وهذا أشقاه فهو بعيد ، أحمده وأسأله من فضـــــله المزيد ، وأشكره شكراً مقروناً بالتهليل والتسبيح والتحميد ، وأشهد أن لا إله إلا الله الولى الحميد .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الرسل وأشرف العبيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لاتفنى ولاتبيد ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن الصيام جُنَّة من النار ، كما رُوي عن النبي صلـــى الله عليه وسلم أنه قال :

((الصِّيَامُ جُنةٌ)) (١) وفي رواية ((الـــصَّيَام جُنَّةُ أَحَدِكُمْ مِنْ الـــنَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَال)) (٢)

وفي تضاعف جوده صلى الله عليه وســـلم في شـــهر رمضان على غيره من الشهور سر بديع ، وهو : أن الجمع بين الصيام والصدقـــة أبـــلغ في تكفير الخطايا ، واتقاء جهنم والمباعدة عنها ، خصوصاً إن انضم إلى ذلك قيام الليل .

وفي حديث معاذ عن النبي صلى عليه وسلم ((الصَّدَقَةُ تُطْفىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفىءُ الْمَاءُ النَّارَ)) (٣)

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٤٦) .

(٢) تقدم تخرجه صفحة (٤٦) .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب (الإيمان عن رسول الله) باب : ((ماجاء في حرمة الصلاة)) حـــديث رقم (٢٦١٦) عن معاذ رضي الله عنه .

وفي الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((اتقوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)) . (١)

وكان أبو الدرداء يقول : صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور ، وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور ، وتصدقوا لشر يوم عسير .

وكان كثير من يواسون من إفطارهم ، ويؤثرون به ويطوون:

كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل .

واشتهى بعض السلف طعاماً ، وكان صائماً فوضع بين يديه عند فطره ، فسمع سائلاً يقول : من يقرض المليّ الوفي ؟ فقال : عبده المعدم من الحسنات ، فأخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاويا . (٢)

وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ، ثم طوى وأصبح صائماً .

وكان الحسن رحمه الله يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ، ويجلس يروّحهم وهم يأكلون .

وقيام الرجل في جوف الليل يطفىءُ الخطيئة أيضاً (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الزكاة) باب : ((اتقو النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة)) حديث رقم (١٤١٧) وأخرجه أيضاً مسلم في كتاب (الزكاة) باب : ((الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ، وأنها حجاب من النار)) حديث رقم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه . . .

(٢) أي بات لم يأكل شيئاً .. وانظر القاموس المحيط (١٦٨٦) .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب (الإيمان عن رسول الله) باب : ((ماجاء في حرمه الصلاة)) حديث رقم (٢٦١٦) عن معاذ رضي الله عنه في حديث جامع وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ((ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ... حتى بلغ يعملون) ..)) الحديث

عباد الله : بادروا بالأعمال الصالحة ، فبين أَيديكم أهوال عظيمة من الموت وأهوال القبور ، وسؤال منكر ونكير ، وأفزاع القيامة ، والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى ، ثم إذا وقع السؤال ونصبت موازين الأعمال ، وتطايرت الكتب بـــاليمين والشمال ، ووضع الصراط على متن جهنم . أحدُّ من الســـيف وأدقُّ من الشـــعر ، ويؤمر الناس بـــالجواز عليه ، فأول من يجوز عليه أمة محمد صلى الله عليه وســـلم ، فيمرون عليه كالبرق الخاطف ، ثم كالريح ، ثم كالطير ، ثم كالخيل ، ثم عـــدْواً ، ثم مَشْياً ، ثم من الناس من يزحف زحفاً ، ومن الناس من يُسْحَبُ سَحْبـــاً ، فمنهم من يسلم ، ومنهم من يَزِلُّ فيقع في جهنم ، ومنهم من تَخْطَفُهُ كَلاَلِيبُ ، فتلقية ويسمع للواقعين في النار جلبه عظيمة وصياح شـــديد يدهش . والملائكة والأنبـــياء كلهم يقولون : اللهم سلّم سلّم (١) .

وقد قيل في المعنى :

إِذَا مُـــدَّ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمْ
تَصُولُ عَلَى الْعُصاةِ وَتَستْطَيلُ
فَقَـــوْمٌ فِي الْجَحِيمِ لَهُمْ ثُبُورٌ
وَقَـــوْمٌ فِي الْجِنَانِ لَهمْ مَقِيل
وَبَانَ الْحَقُّ وانْكَشَفَ الْمُغَطَّى
وَطَـــالَ الْوَيْلُ وَاتَّصَلَ الْعوِيلُ

---

(١) ماذكره المؤلف من أحداث عظيمة هي مما ورد في حديث الشفاعة الطويل الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه وقد أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب : ((فضل السجود)) حديث رقم (٨٠٦) ومسلم في كتاب (الإيمان) باب : ((إثبات الشفاعة وخروج الموحـــدين من النار)) حـــديث رقـــم (١٩٤) .

فيا عباد الله : انظروا إلى هذه الأهوال ، وجدوا واجتهدوا في هذه العشر الأواخر الفواضل ، فقد آذنت بالفراق ، وأَقْبِلُوا بقلوبكم إلى ربكم ، وقفوا لديه بالخضوع والخشوع ، فإنه كريم ، ومدوا أنامل الرجاء فإنه رحيم .

اللهم تب علينا لنتوب ، ووفقنا للعمل الصالح المقبول ، وعافنا واعف عنا برحمتك ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الرابـــع والعشرون

في فضل قيام ليلة القدر

الحمد لله الذي أحكم الأمور وقدرها ، وقدر الأشياء ودبرها ، وأنزل القرآن ليلة القدر وشرفها .

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له ، شهادة ليوم القيامة أَدَخِرُها .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابــه أولى الحلم والنهى ، وسلم تسليما .

عباد الله : اشكروا نعمة ربــكم على ماخصكم بــه من الإنعام والإكرام ، وحباكم من العطايا الجسام ، وشرفكم بنبي الرحمن ورسول الهدى ، فاســتدركوا مواسم العمر فحادي الموت قدحدا ، واغتنموا ليلة القدر فلعلكم تكتبــوا في ديوان السعدا .

في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحتِسَاباً غُفِرَلَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَن قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَابًا غُفِرَلَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (صلاة التراويح) باب: ((فضل ليلة القدر)) حديث رقم (٢٠٩) وأخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقــصرها) بـــاب : ((الترغيب في قـــيام رمضان وهو التراويح)) حديث رقم (٧٦٠) .

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((وَمَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (١)

وقد رُوي مثل ذلك من رواية عبادة بن الصامت في قيام ليلة القدر . (٢)

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله صلى عليه وسلم :

((أرى رؤيا كم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)) أخرجاه . (٣)

ولهما عن عائشة قالت :

(كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئزَرَهُ وأَحْيَا ليله وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ) . (٤)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الإيمان) باب: ((تطوع قيام رمضان من الإيمان)) حديث رقم (٣٧) وأخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب : ((الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح)) حديث رقم (٧٥٩) .

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢١٦٧٩) عن عبادة بن الصامت

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (صلاة التراويح) باب : ((التماس ليلة القدر في السبع الأواخر)) ، حديث رقم (٢٠١٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب (الصيام) باب : ((فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها)) حديث رقم (١١٦٥) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب (صلاة التراويح) حديث رقم (١٨٨٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب (الاعتكاف) باب : ((الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان)) حديث رقم (١١٧٤) .

وأرجى ليلة ترجى فيها ليلة القدر : ليلة سبع وعشرين ، فاغتنموا رحمكم الله هذه الليلة التي هى خير من ألف شهر ، مادعا الله فيها داع إلا أجابه وبلغه أملاً ومقصداً ، ولا سأله سائل إلا أعطاه سؤله وجاد عليه بالفضل والندى (١) فيافوز من احياها ، ويا سعادة من رآها ، لقد نال فخراً وسؤدداً .

وقد جاء في صحيح الإسناد أنها تُلْتَمَسُ في ليالي الأفراد (٢) فاطلبوها في هذه الأعداد تظفروا بحسن القبول ونيل المراد غدا .

فيا أيها الضالّ عن طريق الهدى ، أَمَا تخاف عاقبة الردى ، أما سمعت الحادي وقد حدا؟ أما آن لك أن تسلك طريقاً رَشَدا ؟ أَما تغتنم ليالى القدر التى تَجْلَى عن قلبك الصدى ؟

لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ عِندَ اللهِ تَفْضِيلُ
وَفِي فَضَائِلِهاَ قَدْ جَاءَ تَنْزِيلُ
فَجُدْ فِيهَا عَلَى خَيْرِ تَنَالُ بِهِ
أَجْراً فَلِلْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ تَفْضِيلُ

---

(١) والندى : سعة وكثرة العطاء .. انظر القاموس المحيط (١٧٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة في كتاب (صلاة التراويح) باب : ((تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر)) حديث رقم (٢٠١٧) عن عائشة رضى الله عنها : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان)) ..

وَاحْرِصْ عَلَى فِعْل أَعْمَال تُسَرُّبهَا
يَوْمَ الْمَعَــادِ وَلاَ يَغْــرُرْكَ تَأمِيلُ
فَكَمْ رَأَينَا صَحِيحَ الْجِسْم ذَا أَمِلٍ
فِي لَيْلَةِ الْقَــدْر لَمْ يَبْلُغْــهُ تَنْوِيلُ
فَتُبْ إلَى اللهِ وَاحْذَرْ مِنْ عُقُوبَتِهِ
عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ تَــوْبِيخٌ وَتَنْكِيلُ
ولاَ تَغُرنَكَ الدُّنْيَا وزخــرفها
فَكُلُّ شَيء سِوَى التَّقْوَى أَبَاطِيل

اللهم اجعل التقوى لنا أربح بضاعة ، ولاتجعلنا في شــهرنا من أهل التفريط والإضاعة ، وآمن خوفنا يوم تقوم الساعة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المســلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الخامس والعشرون

أن تكفير الذنوب بصيام رمضان مشروط بالتحفظ مما ينبغى التحفظ عنه :

الحمد لله الواحد القديم ، المنفرد بالعطاء الجزيل والفضل العميم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تنجي قائلها من عذاب الجحيم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى اصحابه ومن تبعهم بإحسان ، واقتفى هداهم القديم ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن تكفير الذنوب بهذه الأعمال ، يتوقف على التحفظ مما ينبغي التحفظ عنه - كما في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان - عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وعرف حدوده ، وتحفظ مما كان ينبغي له أن يتحفظ فيه كفَّر ما قبله)) (١).

والجمهور على أن تكفير الذنوب إنما هو تكفير الصغائر دون الكبائر ، لأن الكبائر لاتكفر إلا بالتوبة النصوح ، ويدل على ذلك ماخرّجه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١١٥٨٣) ، وابن حبان في صحيحه (٢١٩/٨) .

((الصَّلَواتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ)) (١) .

فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفر له هذه الأعمال .

وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر ، فإذا تَمَّ الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه ، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أُعْطِيتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَال فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَها أَمَّةٌ قبلهم : خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عندالله مِنْ رِيح الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيِّنُ اللهُ كُلَّ يَوْم جَنَّتَهُ ثم يَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادي الصالحون أَن يلقوا عَنْهُمُ الْمُؤْنَةَ وَالأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِين فَلا يَخْلُصُوا إِلى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْره ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ . قِيلَ يَارسُولَ الله : أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ قَالَ : لاَ ، ولكن الْعَامِلَ إِنَّما يُوَفَّى أجره إِذَا قضى عَمَلَهُ)) (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الطهارة) بـاب : ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)) حديث رقم (٢٣٣) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٨٨٣٠) .

– وقال النووي في شرح مسلم (١١٢/٣) : ((قال القاضي عياض هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله والله أعلم)) .

(٢) تقدم تخريجه صفحة (٨٨) .

عباد الله : كيف لايُبكى على فراق شهر رمضان ؟ كيف لايتأسف على شهر العفو والغفران ؟ كيف لايحزن على شهر العتق من النيران ؟ ، فارغبوا فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب ، وودعوا شهر رمضان ، فقد عزم على الذهاب ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق الأبواب ، فهذا شهر رمضان قد أزف رحيله ، وحان تحويله ، ولم يبق إلا قليله ، فاكثروا فيه من العمل الصالح ، وشيعوه بالبكاء والأسف وودعوه .

اللهم اجبر قلوبنا بفراق شهرنا بالغفران والعفو والعتق من النيران ، وأدخلنا برحمتك الجنة منزل الرضوان ،واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السادس والعشرون

في الاجتهاد في إِكمال العمل وإِتمامه

الحمد لله القادر القهار ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد الملك الجبار .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، ذو الاقتدار .

وأشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله الذي رفع الله عن أمته الأغلال والآصار ، وعلى آله وأصحابه أقطاب الأقطار ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن السلف يهتمون لقبول العمل أشد اهتماماً من العمل ، كما رُوي عن علي رضى الله عنه أنه قال : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ، ألم تسمعوا الله يقول : ﴿إِنمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/٢٧)

وهذا حال السلف الصالح ، يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ، ويخافون من رده وهؤلاء ﴿ الذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (المؤمنون/٦٠) .

وعن فضالة بن عبيد قال : لأن أكون أعلم أن الله يتقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها ، لأن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ .

وقال مالك بن دينار : الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل .

وقال عبدالعزيز بن أبي رَواد : أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم : أيقبل منهم أم لا .

قال بعض السلف : كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم .

رأى وهيب بن الوردي قوماً يضحكون يوم عيد ، فقال : إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين .

وعن الحسن قال : جعل الله شهر رمضان لخلقه يَستبِقُونَ فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا .

ورُوي عنه رضى الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان : ياليت شعري مَنْ هذا المقبول فنهنيه ؟ ومن المحروم فنعزيه ؟

ورُوي عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقول : مَنْ هذا المقبول منا فنهنيه؟ ومن هذا المحروم فنعزيه ؟ أيها المقبول هنيئاً لك ، أيها المطرود جبر الله مصيبتك .

عباد الله : هذا شهر رمضان قد عزم على الانصرام ، ونوى النُّقْلَةَ عنكم والرحيل بعد المقام ، وهو شاهد عليكم أولكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام ، طالما عمرت به القلوب ، واندرست به معالم الذنوب والآثام ، وقد كان لكم نعم الضيف ، فهل أضعتم حقه أوقمتم له بما يجب له من الإكرام ؟ فلعل المسوف فيه بالتوبة لايدركه بعد هذا العام ، والمغتر بالإهمال لاتمهله المنون إلى استكمال التمام ، فيندم حين لاينفع الندم ، ويتأسف على التفريط إذا زلت به في القيامة القدم .

واعلموا رحمكم الله أنه يستحب الإكثار من ذكر الله تعالى ليلة العيدين والجهر به في البيوت والأسواق والمساجد ، اقتداء بالسنة واتباعاً للسلف ، وفي ليلة الفطر آكد لقول الله تعالى :

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة/١٨٥) .



اللهم إنا تولينا شهر رمضان على تقصير منا ، وقد أدينا من حقك قـــليلاً من كثير ، وقد أنخنا ببابك سائلين فلا تردنا خائبين ، ولا من رحمتك آيســـين ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، بـــرحمتك يا أرحـــم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله واصحابه أجمعين .

الخـــاتمـــة

في فضل صوم ستة أيام من شوال والترغيب فيه

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بإكمال صوم رمضان ، وهدانا للإسلام والإيمان ، وشرفنا بمحمد المبعوث رسولا إلى الإنس والجان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك الديّان .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنـــزل عليه القرآن ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين نصروه ، وعزروه ، ووقروه ، واتبعوه كما أمر الله بـــه في محكم القرآن ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن من صام رمضان وأتبعه ستاً من شـــوال ، فكأنما صام الدهر كله ، كما في صحيح مسلم عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وســـلم أنه قال :

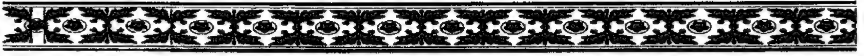
((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثم أَتْبَعَهُ سِتاً مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيام الدَّهْرِ)) (١) .

فلا تهملوا هذه الفضيلة ؟

وسبحان من قَلَّبَ عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ، ليسبـــغ عليهم فيه فواضل النعم ، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم ، والذي أوجدها وأبـــدعها وخصها بالفضائل ، وأودعها باق لايزول ، ودائم لايحول ، هو في جميع الأوقات إلهٌ واحد ، ولأعمال عباده مشاهد .

---

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الصيام) باب : ((استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان)) حديث رقم (١١٦٤) ، والترمذي في كتاب (الصوم عن رسول الله) حديث رقم (٧٥٩) وأبوداود في كتاب (الصوم) حديث رقم (٢٤٢٢) ، وابن ماجه في كتاب (الصيام) حديث رقـــم (١٧١٦) والإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٢٤٣٣) .



واعلموا رحمكم الله أن أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة ، وهي حـــل عقـــده الأحرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبـــه على المعاصي معقـــود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود .

اللهم لاتردنا خائبين ، ولا من رحمتك آيسين .

واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، بـــرحمتك يا أرحـــم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأول

في فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذي أوضح سبيل هدايته لأرباب ولايته ، وحرك أهل عبادته إلى معاملته ، وأبدع بدائع قدرته في محكم صنعته ، لايخفى عليه ضمير القلب في سواد الليل ولا طرف أدعج (١) ، يبصر جَرْيَ اللبن يسري في العروق نحو المخرج ، وينزل إلى السماء الدنيا فأين الذي بالمناجاة والاستغفار يلهج ؟ ، فيستعرض الحوائج إلى أن يلوح الفجر ويتبلج (٢) ، وورد بذلك النقل ، ومن عقل رأي الحق أبلج .

وأشهد بوحدانيته شهادة موقن ماتلجلج (٣) .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي محاسن الشرائع في شريعته تَدْرج وعلى آله وأصحابه الذين نصر الله بهم الدين وأبهج ، وسلم تسليما .

عباد الله : إن عشركم هذه هي العشر الأخيرة ، وفيها الخيرات والأجور الكثيرة ، تكمل فيها الفضائل وتتم فيها المفاخر ، ويطلع على عبادة العظيم القادر ، وينيلهم الثواب الجزيل والحظ الوافر ، فيها تزكو الأعمال ، وتنال الآمال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسهر ليله ، ويقوم فيه الليل كله ، فالسعيد من أكرمه وأجلّه ، والبعيد من أهانه واستقله .

---

(١) قال في القاموس (٢٤١) : ((الدُعجة بالضم : شدة سواد العين مع سعتها ، والأدعج : الأسود)) والمعنى أنه لا يخفى عليه سبحانه سواد العين في ظلمة اليل .

(٢) أي يتضح ويشرق ، قال في القاموس (٢٣١) : ((بَلج الصبح : أضاء وأشرق)) أ.هـ .

(٣) قال في القاموس (٢٦٠) : ((اللَّجْلَجةُ والتَلجْلُجُ : التردد في الكلام)) والمعنى أشهد بوحدانيته سبحانة بيقين دون تردد أو شك في ذلك ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصها بالاعتكاف والقيام ، كما ورد ذلك عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ((كان رسُوُل اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئزَره ، وأَحيا ليلهُ وأَيقظ أَهله)) . (١)

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل العشر طوى فراشَهُ واعتزل نساءَهُ . (٢)

فبادروا عباد الله بالتوبة والاستغفار والابـتهال إلى ذي الجلال والإفضال ، واغسلوا بالدموع درن (٣) الذنوب ، قبل أن تفضحوا بالعيوب ، وإنَّ امرءاً تنقضي بالجهل ساعاته ، وتذهب في المعاصي أوقاته ، لخليق أن تجري دماً دموعه ، وحقيق أن يقل في الدُجىَ (٤) مهجوعه .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((ينـزل ربنا تبارك وتعـالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعـوني فأسـتجيب له من يسـألني فأعطيـه من يستغفرني فأغفرله)) . (٥)

فبادروا رحمكم الله بالتوبة النصوح قبل انقـضاء العمر ، وهجوم الأجل ، وصونوا صيامكم وقيامكم عن ارتكاب اللغو والآثام ، واعلموا - رحمكم الله - أن هذه العشر قد أو جب الله عليكم تعظيمها واحـترامها ، وأجزل الثواب لمن أحـيا لياليها وقامها ، فانتبهوا رحمكم الله ، واهجروا لذيذ المنام ، واحذروا من الغفـلة في

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٨٣) .

(٢) تقدم تخريجه صفحة (٨٦) .

(٣) أي وسخها ..

(٤) أي ظلمة الليل .. انظر القاموس المحيط (١٦٥٤)

(٥) أخرجه البخاري في كتاب (الجمعة) باب : ((الدعاء والصلاة من آخر الليل)) حديث رقم (١١٤٥) ومسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب : ((الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه)) حديث رقم (٧٥٨) .

هذه الليالى والأيام ، وخذوا قــدر البُلغة من الطعام ، هذه عَشْرُ مَحْوِ الذنوب ، هذه عشر حياة القلوب ، هذا وقت تلاوة الكتاب ، هذا وقت عمارة المحراب ، هذه عشرٌ فيها تُكَفُّ النفوس ، كأنها في حُبوس ، وتُظْمَأُ عن الكؤوس ، وتطرق من الخشـية الرؤوس عن النظر إلى الحـرام ، عشـر تحلى فيها المسـاجد ، ويخشع فيه الراكع والساجد ، وينهض للخيرات كل قاعد ، ويصير الراغب كالزاهد من قـلة الطعام ، عشر التعبد والتراويح ، عشر السهر والمصابيح ، عشر المتجر الربيح ، عشر يترك فيها القبيح ، وهجر الآثام ، فيها تصح الأمور . فيها تُغَلُّ الشـياطين ، فيها يعرف قـدر الدين ، فيها يتشبه المسيء بالمحسنين ، فيها ترق القلوب ، فيها تغفر الذنوب .

عباد الله : احذروا هذا العدو الذي أخرج أبـاكم من الجنة ، فإنه سـاع في منعكم من العود إليها بكل سبيل ، والعداوة بينكم وبينه قـديمة ، فإنه ما أخرج من الجنة وطرد عن الخدمة إلا بسبب تكبره على أبيكم ، وامتناعه من السجود لما أمر به ، وقد أُبلس (١) من الرحمة ، وأَيس من العود إلى الجنة ، وتحقـق خلوده في النار ، فهو يجتهد أن يخلِّد معه في النار بنى آدم بتحسين الشرك ، فإن عجز قـنع بما دون ذلك من الفسق والعصيان ، وقـد حـذركم مولاكم منه ، وقـد أعذر من أنذر ، فخذوا حذركم:

﴿ يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ (الأعراف/ ٢٧)

فالعجب ممن عرف ربَّه وعصاه ، وعرف الشيطان وأطاعه ...

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَـدُوٌ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ (الكهف/ ٥٠) .

---

(١) قال في القاموس (٦٨٧) : ((أَبْلَس : يئس وانقطع وتحير ، ومنه إبليس))

عباد الله : أَيقظوا في هذه العشر الأسماع والأبـــصار ، واحبســـوا فيها عن الفضول اللسان الهذّار ، وانهضوا للاستغفار وقت الأسحـــار ، واعجبـــاً لمن ينام؟ لازموا المساجد وتزودوا ، واجتمعوا على الفلاح والخير ، ولا تَبْدوا ، وتَصَبَّرُوا عن الخطايا وتسددوا ، فإنما هي أيام ، فالفضائل في هذه العشـــر كثيرة ، والمصالح وافرة غزيرة ، فالسعيد من عمل وقبل ، والشقي من طرد وخذل ، ومن الفضائل فيه إطعام الطعام ، وتفطير الصُوَّام ، فإنه قد ورد عن خير الأَنام :

((من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً)) (١)

يَانَفسُ فَازَ الصَّالِحُونَ بالتُّقَى
وَأَبْصَرُوا الْحَقَّ وَقَلْبِي قَدْ عَمِي
يَاحُسْـــنَهُمْ وَاللَّيْلُ قَدْ أَجَنَّهُمْ
وَنُورُهُمْ يَفُوقُ نُـــورَ الأَنْجُمِ
تَرَنَّمُـــوا بِالذِّكْرِ فِي لَيْلِهِمْ
فَعَيْشُهُمْ قَـــدْ طَابَ بِالترَنمِ
قُلُوبُهُـــم بِالذِّكْرِ قَدْ تَفرَّقَتْ
دُمُوعُهُمْ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْتَـــظِمِ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب (الصوم عن رسول الله) بـــاب : ((ماجاء في فضل من فطر صائما)) حديث رقم (٨٠٧) عن زيد بن خالد الجهني رضى الله عنه ، وأخرجه كذلك الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٦٤١٩) وابن ماجه في كتاب (الصيام) باب : ((في ثواب من فطر صائماً)) حـــديث رقم (١٧٤٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٥) .

أَسْحَارُهُمْ مِنْ نُورِهِمْ قَدْ أَشْرَقَتْ
وَخِلَعُ الْغُفْـــرانِ خَيْرُ الْمَقْسَم
وَيْحَـــكِ يَانَفْـــسُ أَلاَ تَيَقُّـــظٌ
يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَـــزِلَّ قَـــدَمِي
مَضَى الزَّمَـــانُ فِي تَوان وهَوى
فَاسْتَدْرِكِي مَاقَـــدْ بقي واغْتَنِمِي

واختلف أهل العلم في : أي ليالي العشر أرجى لليلة القـــدر ؟ فحـــكي عن الحسن ومالك : أنها تطلب في جميع ليالي العشر ، أشفاعه وأوتاره ، ثم اختلفوا في أي أوتاره أرجى ؟ قال الشافعي في المشهور عنه : إنها ليلة إحدى وعشرين : لحديث أبي سعيد (١)

يا ليلة القدر للعابدين اشهدي ، يا أقدام القائمين لربك اركعي واسجدي ، يا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي ، تنبه للخلاص يامسكين ، أعتق نفســك من الرق يارهين ، اقلع أصل الهوى فأَصلُ الهوى مكين ، احذر غرور الدنيا فما للدنيا يمين ، يادائم المعاصى سِجْنُ العاصى سِجِّين ، تثب على الخطايا ولاوثبة تِنِّين ، كأنك بالموت قد برز من كمين ، وآن الأمر فوقعت في الأَنين ، واستنبأت أنك في أحوالك غبين ، كيف ترى حالك إذا عبث الشمال باليمين ؟ ثم ثقلت ولقبت بالميت الدفين ، يامستوراً على الذنوب غداً ينجلي ويبين ، ترى متى هذا القلب القاسي يلين؟

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٥٩) ، وقد استوعب الحافظ ابن حـــجر – رحمه الله – في فتح البـــاري (٤/٦٢-٢٦٦) الأقوال في تعيين ليلة القدر في أربعين قولاً ثم قال بعدها : ((هذا آخر ماوقفت عليه من الأقوال بعضها يمكن رده إلى بعض وإن كان ظاهرها التغاير وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الاخير وإنها تنتقل كما يفهم من أحاديث هذا الباب وأرجاها أوتار العشر وأرجى أوتار العشـــر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين على ما في حديث أبي سعيد وعبـــدالله بـــن أنيس وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين وقد تقدمت أدلة ذلك ، قـــال العلماء الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها بخلاف مالو عينت لها ليلة لاقتصر عليها كما تقدم نحوه في ساعة الجمعة)) أ.هـــ.

يا عجباً لقسوته وهو مخلوق من طين ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَت مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أنَّ بينها وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدا﴾ (آل عمران/ ٣٠)

إنما يتبين ربح العاملين يوم المعاد ، وفيه تظهر آثار القرب والبعاد ، فمن عمل خيراً وجد جزاءه محضراً ، ومن عمل سوءاً وجده في كتابه مسطوراً ، هذا الذي أزعج قلوب العارفين الخائفين ، وأسهر عيون العابدين : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (المؤمنين/ ٦٠)

يعني يعملون بالطاعات ما يعملون ، وهم مع ذلك وجلون .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل حتى تتورم قدماه (١) .

وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، يسمع لقلبه خفقان وغليان في الصلاة هذا خوف الخليلين مع ما أعطيا من شرف المقام ، فالعجب كيف يطمئن قلب من أثقلت الآثام ظهره ؟

قال كعب الأحبار : لو أن رجلا عمل عمل سبعين نبياً لاستقله يوم القيامه ، لما يرى من أهوال ذلك اليوم .

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها : ((أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً فلما كثر لحمه صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع)) أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) باب: قوله (ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) حديث رقم (٤٨٣٧) وأخرجه مسلم في كتاب (صفات المنافقين) باب : ((إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة)) حديث رقم (٢٨٢٠) .

قال بعضهم . كانت لي جارية حبشيَّة ، فمضت معى إلى السوق في حاجة ، فأَقعدتها في مكان ، وقلت لها اقعدي حتى آتيك ، ومضيت وقضيت أربي ، ثم أتيت المكان فلم أجدها ، فأتيت إلى منزلي مغضبا ، فلما رأتني قالت : ياسيدي لاتغضب إنك تركتني في مكان لم أجد من يذكر الله فيه ، فخفت أن يخسف الله بهم ويخسف بي معهم ، فقلت لها : إن هذه الأُمَّة قد أَمَّنَها الله من الخسف ، فقالت : ياسيدي إنما خفت أن يخسف بالقلوب ، فتزل عن الاستقامة ، فقلت لها : اذهبي فأَنت حرة لوجه الله تعالى ، قالت ياسيدي : حرمتني من خير كثير ، كنت أعبد ربي وأخدمك فيكون لي أجران (١) .

– عباد الله هذا شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم حاسب نفسه وانتصف ؟ من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبنى له فيها غرف من فوقها غرف ؟؟ ألا إن شهركم قد أخذ في النقص فزيدوا أنتم في العمل ، فكأنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أن يكون منه خلف ، وأما شهر رمضان فمن أين يكون منه الخلف ؟

اللَّهم أيقظنا من رقدات الغفلة ، ووفقنا للتزود قبل النُّقلة ، وألهمنا اغتنام الزمان وقت المهلة ، واجعل خير أيامنا وأَسعدها يوم لقاك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) كما في حديث أبي بردة أنه سمع أباه يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران ، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران ، والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده له أجران)) أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد) باب : ((فضل من أسلم من أهل الكتابين)) حديث رقم (٣٠١١) ، وأخرجه أيضاً مسلم في كتاب (الإيمان) باب : ((وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته)) حديث رقم (١٥٤) .

المجلس الثاني

في الأَمر بالاجتهاد بالعمل في العشر الأَواخر

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب ، وفارق بينهم في المعاني والآداب ، رفع عن أبصار بصائر أوليائه الحجاب ، وأشهدهم بما خفي عن غيرهم وغاب ، وشغل الجهال الطغام (١) بالطعام والشراب ، فهم في جمع الحطام بين المجيء والذهاب ، يعمرون بالشهوات أجسامهم والقلوب في خراب .

أحمده على كل ماعرض وناب ، وأقر بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب .

وأصلّي وأسلم على رسوله محمد الذي عرج به فكان قاب ، صلى الله عليه وعلى أبي بكر السابق إلى الفضائل ولا سَبْقَ العراب (٢) وعلى العادل عمر بن الخطاب ، وعلى عثمان منفق المال على الإسلام من غير حساب ، وعلى ابن عمه وزوج بضعته (٣) علي لُبِّ اللُّباب ، وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم إلى يوم الحشر والحساب ، وسلم تسليما .

---

(١) طغام الناس : أوغادهم وأدنأهم همة .. انظرَ القاموس المحيط (١٤٦٣)

(٢) أي العربية الأصيلة .. من الخيل أو الإبل يقال : هذه خيل عِرابٌ ومُعْرِبَةٌ وإبلٌ عِرَابٌ .. انظر القاموس المحيط (١٤٥)

(٣) البَضعةُ هي القطعة من الشيء بفتح الباء وقد تكسر انظر : القاموس (٩٠٩) والمراد بها هنا فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم وزوجة علي بن أبي طالب رضى الله عنه . . .

عباد الله إن عشر رمضان قد نزلت ببركاتها إليكم ، وأشـرفت بـفضلها وشرفها عليكم ، فتأهبـوا لتلقـيها بـالعزم الصادق على الخير ، واجعلوا هممكم مصروفة إلى حراستها لاغير فإنها عشر بالبركات الوافرة قـد حُفت ، وبـالكرامة الظاهرة إليكم زفت ، عشر تربح فيها بضائع العبـاد ، وتغنم فيها عبـادة الزهاد ، وتستقيم فيها صفوف الجهاد ، ويحسن فيها الاجتهاد ، عشر فيها يعتق الأسير ، ويجبر بالفضل الكسير ، وتكف بالتقى أكف التبذير ، وتحضر القلوب وينفع التحـذير ، ويستقيم فيها قدم العابد ويقل التعثير ، ويقوى فيها الباعث إلى التوبة المثير ، فأَعدوا لقـدومها عدة ، واسـأَلوا الله فيها التوفيق إلى أن تكملوا العدة ، والحذر الحذر من التفريط والإهمال ، والتكاسل فيها عن صالح الأعمال ، فهمة الصالحين فيها القراءة والقيام ، والكف عن فضول الكلام ، والسلامة من جميع الآثام ، والاشتغال بذكر الملك العلام ، فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه ، وحاسب نفسه على إهماله قبل قراءة كتابه ، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه في ذهابه وإيابه .

قال أبو حازم : أدركت أقـواما ما كان رمضان يزيد اجتهادهم شـيئاً ولا ينقص خروجه من اجتهادهم شيئاً .

وكان السلف الصالح إذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراشه .

ولما رأت أم الرَبيع بن خيثم كثرة بكائه واجتهاده قالت : يابني لعلك قتلت قتيلاً فأَنت خائف من ذنوبه ؟ قال : نعم يا أماه قالت : فقل لنا مَنْ هو لعلنا نطلب من أهله أن يسامحوك ؟ فوالله لو رأوا ما تصنع بنفسك لرحموك ، قـال يا أماه : إنما هي نفسي ، قتلتها بتقصيري في حقوق الله تعالى .

وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صـلاة الصبح فلما سلم انفتل (١)

١- أي اسـتدار

عن يمينه وعليه كآبة ، فمكث حتى طلعت الشمس ، ثم قَلَّب يديه ، وقال : واللهِ لقد رأَيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم أحداً يشبههم ، كانوا يصبحون شعثا غُبراً صفراً ، قد باتوا لله سجداً وقياما ، يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، وكانوا إذا ذكر الله عز وجل مادوا كما تميد الشجر في يوم ريح وَهمَلت أَعينهم حتى تبل ثيابهم ، ثم نظر إلى الذين حَولَه وقال : كأن هؤلاء باتوا غافلين .

– عباد الله : أين اللائذ بالجناب ؟ أين الواقف على الباب ؟ أين الباكي على ماجنا ؟ ، أين المستغفر لأمر قد دنا ؟ ، ألا رب فَرِح بما يؤتى قد خرج أسمه في الموتى ، ألا رُبَّ غافل عن تدبر أمره ، قد انفصَمت عُرَى عمره ، ألا رب معرض عن سبيل رشده ، قد آن أوان شق لحده ، ألا رب رافل في ثوب شبابه ، قد أزف فراقه لأحبابه أين من كان في مثل هذا العشر في منازله ، أما ظهر له الخسران عند حساب معامله ؟ أين المعتذر مما جناه ؟ ، قد اطلع عليه مولاه ؟، أين الباكي على تقصيره ، قبل تحسره في مصيره ؟

تَعَالوا كُلَّ مَنْ حَضَرا　　　لِنطْرُقَ بَابَهُ سَحَرَا
وَنَبْكي كُلُّنَا أَسَفَا　　　عَلَى مَنْ بَاتَ قَدْ هَجَرا

– مهور الحور طول التهجد ، وهو حاصل في هذه العشر أكثر من غيرها .

ياقوم ألا خاطب في هذه العشر إلى الرحمن ؟ ، ألا راغب فيما أعد الله للطائعين في الجنان ؟ ، ألا طالب لما أخبربه من النعيم المقيم ؟ مع أنه ليس الخبر كالعيان .

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَان فَلْيَدَعْ عَنْهُ التَّوَان
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيل إِلَى نُورِ الْقُرانَ
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْ مٍ إِن هَذا الْعَيْشَ فَانَ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جِوَارُ اللَّهِ فِي دارِ الأَمَانَ

عباد اللهَ : قد ذهبَ عنكم أكثر شهر رمضان ، وأنتم اليوم في العشر الحسان وهن عشر الإعتاق من النيران ، لمن ترك الذنوب واستحيا من رقيبه .

يقول الله تعالى :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ)) (١)

عشر أقبلت على المقبولين بتكثير الأجور ، وعلى الصادقين بتوفير النور ، وعلى المتقين بالفرح والسرور ، وعلى التائبين بتقويم الأمور ، وعلى العامل بكامل نصيبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

عشر يتم فيها الإسعاد والتكريم ، ويتفضل بجزيل الإنعام الملك الكريم ، ويصفد فيها كل شيطان رجيم ، ويعافى فيها مريض الخطايا السقيم ، إذا امتثل أمر طبيبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

عشر فيها تتوافر العطايا والمنح ، ويتحصل فيها كل مأمول مقترح ، ويتم فيها للعابد الثواب والفرح ، ويغفر للعاصي كل ماجنا واجترح ، ويعاد فيها على كل من أَصلح وصلح بإدنائه وتقريبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٣٠) .

عشر يعفو فيها عن عباده الرؤوف الرحيم ، فاحــفظوه لعله يحلّكُم جناتِ النعيم ، ويقيكم في القيامه هول الجحيم ، إذا انزعجت القلوب من لَهيبه .

لقد سعد من اتقــى فيها والتجا ، وتسحــر في جوف الليل وظلمة الدجى ببكائه ونحيبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

فصححـــوا فيها رحمكم الله الفروض والنوافل ، واحترســوا من الغفلات القواتل ، وتيقظوا فيها قبــل لحاق الاواخر الأَوائل ، واعتذروا في هذه الأيام والليالى القلائل ، قبل أن يرد اعتذار العاصي بتكذيبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

واحذروا غيبة الناس فإنها تحبط الأجر ، وجانبوا أكل الحرام فإنه سبب الطرد والهجر ، وعظموا عشركم فإنها من عظيم الأمر ، وانتظروا فيها بحسن اليقــظة لليلة القدر ، فإنها عظيمة القدر ، فيا فوز من خشي فيها من رقيبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

وإيا كم فيها وفضول النظر والكلام ، واجتهدوا في الصلاة والقــيام ، فإذا سَلِمَ رمضانُ سَلِم جميع العام ، عساه يقيكم شر الوقوف على الأقدام ، يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيه ، والنسيب من نسيبه :

((الصَّوْمُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ))

والله سبحانه وتعالى أجود الأجودين وجوده يتضاعف في أوقــات خاصَّة كشهر رمضان ، وفيه أنزل الله :

﴿ وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادي عَنِّي فَإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إذَا دَعَانِ﴾(البقرة/ ١٨٦)

- في التوراة : طوبى لمن جوَّع نفسه ليوم الشبع الأكبر ، طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الري الأكبر طوبى لمن ترك شهوة حاضرةً لموعد غيب لم يَره ، طوبى لمن ترك طعاماً ينفذُ في دار تنفذُ لدار ((أكلها دائم وظلها)) :

مَنْ يُردْ مُلْكَ الْجنَان   فَلْيَدَعْ عَنْهُ التَّوَان
ولْيَقُم فِي ظُلْمَةِ اللَّيل   إلَى نُور الْقُران
ولَيَصِل صَوْمًا بصَوْ   م إن هَذا الْعَيْشَ فَانَ
انَّمَا الْعَيْشُ جوَارُ   الله فِي دار الأَمَانَ

كان أبوَ ذر يقول للناس : ((أر أيتم لو أن أحدكَم أراد سَفراً ، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلِّغه ؟ قالوا : بلى قال : فسفر القيامة أبعد ، فخذوا له ما يصلحكم : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور ، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير)) .

صلى كثير من السلف صلاة الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة ، ومنهم من صلى كذلك أربعين سنة .

قال بعضهم (من ذوي أربعين سنة) ما أحزنني إلا طلوع الفجر .

قال ثابت البناني : كابدت قيام الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة أخرى ، وفي المصنف عن مالك ابن الحويرث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : التؤدة في كل شيء خير ، إلا ما كان من أمر الآخرة (١) ،وعن العلاءِ بن زياد قال : ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول : يا أيها الناس إني يوم جديد ، وأنا على ما يعمل بي شهيد ، وإني لو قد غابت شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٢٣٤) .

فالمبادرة المبادرة بالتوبة قبل الموت ، و كل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكوّن ساعة موته :

لاَ تَأمَنِ الموتَ فِي طَرْف وَلاَ نَفَس
وَإنْ تَمَنَّعْــتَ بِالْحُجَّابِ وَالْحَرَسِ

عباد الله : التوبة التوبة قبل أن يصل إليكم من الموت النوبة ، فيحصل المفرط على الندم والخيبة ، الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة ، الإفاقة الإفاقة ، فقد قــرب وقت الفاقة (١) ، ما أحسن قلق التواب ؟، ما أحلى قدوم الغياب ، ما أجمل وقوفهم بالباب :

أَسَأَتُ وَلَمْ أُحْسِنْ وَجِئْتُكَ تَائِباً
وَأَنَّى لِعَبْــدٍ عَنْ مَــوَالِيهِ يَهْرُبُ
يُؤَمِّلُ غُفْــرَاناً فإنْ خــاَبَ ظَنُّهُ
فَمَا أَحَدٌ مِنْهُ عَلَى الأَرْضِ أَخْيَبُ

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبــابها ، وأفِضْ علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبــالها ، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، في جنات النعيم ، مع الذين أنعمت عليهم ، من النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين .

واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) أي الذل والانكســـار .

المجلس الثالث

في فضل ليلة ثلاث وعشرين من رمضان

الحمد لله اللطيف الرؤوف ، العظيم المنان ، الكريم القديم الديان ، الغني العلي القوى السلطان ، الحكيم الرحيم الرحمن .

الأول فلا سابق لسبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه .

أحمده على ما خصنا به من الصيام والقيام ، وأشكره على تمام الفضل وسبوغ الإنعام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذي لا تحيط به العقول ولاتدركه الأوهام ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المخصوص بشريعة الإسلام ، صلى الله عليه وعلى أبي بكر رفيقه في الغار ، وعلى عمر فاتح الامصار ، وعلى عثمان شهيد الدار ، وعلى علي ابن عم المختار ، وعلى سائر آله وأصحابه الأبرار وسلم تسليما .

عباد الله : هذه الليلةُ هي ليلة ثلاث وعشرين ، وقد قال قوم : إنها ليلة القدر .

وقد رُوي عن علي رضى الله عنه (إن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين) . وقال ابن مسعود (اطلبوا ليلة القدر في ثلاث وعشرين) . وروي عن الشافعي إن أرجاها ليلة ثلاث وعشرين ، وهذا قول أهل المدينة ، وحكاه الثوري عن أهل مكة والمدينة : إنها ليلة ثلاث وعشرين ، وممن رُوي أنه يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين ابن عباس ، وعائشة ، وهو قول مكحول (١) .

---

(١) تقدم ذكر كلام ابن حجر – رحمه الله – في الفتح على أقوال العلماء في تعيين ليلة القدر انظر صفحة (١٠٩) .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـــال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَاباً غُفِرَ له مَا تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ)) (١)

وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بالدعاء فيها (٢) وقال سفيان الثوري :((الدعاء في تلك الليلة أحـــب إلَي من الصلاة وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمســـألة ، فلعله يوافق ســـاعة الإجابـــة)) ، ومراده أن كثير الدعاء أفضل من الصلاة التي يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنا .

قال الشافعي : أستحـــب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها .. وهذا يقتضى استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشـــر الأواخر : ليله ونهاره ، لأن ليلة القدر لاتعلم بعينها .

- المحبون تطول عليهم الليالى فيعدونها عداً لانتظارهم ليالى العشـــر في كل عام ، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم ، وخدموا محبوبهم ، رياح هذه الأسحـــار تحمل أنين المذنبين ، وأنفاس المحبين ، وقصص التائبين ، ثم تعود برد الجواب بـــلا كتاب ، أشكو إلى الله كما شكا أولاد يعقوب إلى يوسف .

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٩٣) .

(٢) أخرج الترمذي في كتاب (الدعوات عن رسول الله) حديث رقم (٣٥١٣) ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((قلت يارسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال : قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني)) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، واخرجه ابـــن ماجه في كتاب (الدعاء) باب : ((الدعاء بالعفو والعافية)) حديث رقم (٣٨٥٠) ، وأخرجة الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٤٢١٥)

قد مسني الضر وأنت الذي تعلم حالي وترى موقفي ، بضاعتي المزجاة محتاجة إلى سماح من كريم ، فقد أتى المسكين مستمطراً جودك فارحم ذُلَّه واعطف ، فأوف كيلي ، تصدق على هذا المقل البائس الأضعف .

أين أرباب القيام؟ أين المتهجدون في جنح الظلام ؟ ذهبوا وغابوا فعليهم السلام .

ياناسياً للعهد عاملتنا
ثم تعللت بطيب الرقاد
ثم تشاغلت وأين الذي
حَصّلت : كلا بل حرمت المراد
فاز الذي عاملنا بالرضى
وحصَّل الزاد ليوم المعاد
شَمِرْ من اليوم ودعْ مامضى
كن فقيراً : مامضى لايعاد

اسمع يا مضيع الزمان ؟ فيما ينقص الإيمان :
ما أراك في رمضان إلا كما كنت في جمُادى وشعبان :
أما يسوقك إلى الخير ما يسوق ؟
إلى متى شوق المشوق إلى سوق الفسوق !؟
أوله سهل ثم تنخرق الخروق .
ميز بين ما يفنى وما يبقى ترى الفروق .
خَلِّ خِلَّ التواني إن شئت تفوق .

كانت بعض المتعبدات تدعو في تهجدها ، تقول : ((إلهى ما أشوقني إلي لقائك ، وأعظم رجائي لجزائك ، وأنت الكريم ، الذي لا يخيب لديه أمل الآملين ، ولا يبطل عنده شوق المشتاقين ، إلهي إن كان قد دنا أجلي و لم يُقَرِّبْني عملي ، فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل علَلي ؟ ، فإن عفوت فمَن أَوْلَى طَوْلاً منك بذلك ؟ وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك ؟ إلهي قد جُرتُ على نفسى في النظر لها ، وبقي لها حسن نظرك ، فالويل لها إن لم يسعدها حسن نظرك ، إلهي إنك لم تزل بى براً أيام حياتي ، فلا تقطع عنى بِرَّك بعد وفاتي ، ولقد رجوت من تولاني في حياتي بإحسانه أن يسعفنى عند مماتي بغفرانه .

إلهى إن كانت ذنوبي قد أخافتني ، فإن محبتي لك قد أجارتني ، فتولّ من أمري ما أنت أهله ، وَعُدْ بفضلك على من غره جَهْلُه ، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري .

إلهى لولا ذنوبي ما خفت عقابك ، ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك .

ثم لاتزال تبكي حتى يطلع الفجر)) .

والهفاه هذه همم النساء غلبت همم الأبطال ، ونحن رجال ، فأين عزم الرجال ؟ كأنا تقاسمنا الذكورية فلهن المعاني ((فإن الله تعالى لاينظر إلى صوركم وأموالكم، لكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) (١) فياليتنا حيث قصّرنا عن أعمال

---

(١) أخرج مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) في باب : ((تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله)) حديث رقم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب (الزهد) باب : ((القناعة)) حديث رقم (٤١٤٣) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٧٤٩٣) .

الأبرار ، سلمنا من كسب الآثام والأوزار .

- قال رجل لبعض الصالحين :

إني عاجز عن قيام الليل ، فقال : يا أخى لاتعص الله بالنهار ، وقال الفضيل:

إذا لم تقدر على الصيام والقيام فاعلم أنك محروم بذنوبك .

فالجاهل يظن أن هؤلاء عبدوا الله بصحة الأجسام وقوة الأركان ، ولكنهم عبدوا الله بصحة القلوب وقوة الإيمان ، أكلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى ، وكلامهم كلام الخائف بين يدى ملك جبار ، وعزمهم عزم الهارب من سيل مغرق ، أونار محرق .

يا هذا بين حالك وحالهم كما بين وقتك وأوقاتهم ، يا غائبا في صلاته ، يا شتيت الهم في جهاته ، يا مشغولاً بأوقاته عن ذكر وفاته ، يا قليل الزاد مع قرب مماته ، لقد ربحَ القوم وإنك نائم ، وخبت ورجعوا بالغنائم ، يا من هو بالليل راقد وبالنهار هائم ، وغاية ما يشتهي مشاركة البهائم ، نظروا في عواقب الأمور ، فقبروا أنفسهم قبل المقبور ، وأخرجوا من ظلام الشبهة إلى أجلى نور ، فما استفزهم فانٍ ولا غرهم غرور ، أطار خوف النار نومَهم ، وأطال ذكر العطش صومَهم ، وهون فكرهم في العتاب نَصَبَهم ، ونَصَبَهم على الأقدام ذكر القيام وأنْصَبَهم .

عباد الله اجتهدوا في هذه الليالى والأيام القليلة ، لعلكم تنجون من الأهوال العسيرة ، قال تعالى :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١)

وإذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء حشروا على أحوال ، فمنهم من يكسى ، ومنهم من يحشر عريانا ، ومنهم راكب ، وماش ، ومسحوب على وجهه

ومنهم من يذهب إلى الموقف راغباً ، ومنهم من يذهب إليه خائفا، ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا حفاة ، عراة غُرْلاً .

فيا هذا اذكر إذا قمت من قبرك فقيرا ، لا تملك من المال نقيرا ، وأصبحت بالذنوب عقيرا (١) ، فلو قدمت من الخير حقيراً ، صار لك ملجأً وملاذاً .

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذا ﴾ (ق/ ٢٣)

ونصب الصراط والميزان ، وتغيرت الوجوه والألوان ، ونودي شقيٌ فلان بن فلان ، وما ترى للعذر نفاذاً ، (لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذا) .

إخواني حسن الأدب في الصلاة دليل على معرفة الرب ، والتفات البدن دليل على إعراض القلب ، وقد وصفت لكم أحوال الصالحين ، وأحوال الخائفين ، فهل أنتم منهم أومن الغافلين ؟ ، سبحان من قوَّمهم وأصلحهم ، وعاملوه باليسير فأربحهم ، واعتذروا من التقصير فسامحهم ، وقد أثنى عليهم ومدحهم ، إن كنتم تسمعون .

اغتنم القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن رديّ الكلام ، وَصَمُّوا عن استماع الحرام ، فكأَنهم ما يسمعون .

كَفُّوا الأَكُفَّ عن الفساد ، وهجرت الرؤوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم في سُكرِ الرقاد .

وهم يسجدون ويركعون

ما أو في تلك الأحوال ، ما أصفى تلك الخصال ، ما أزكى تلك الأعمال ، جمعوا الهموم ، فأ ما الأموال فما يجمعون يارِبِّ وفقنا لما وفقت القوم ، وأيقظنا من

---

(١) أي هالكاً ..

سِنةَ الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم ، الذي به يربح العاملون :
﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون / ٢٠)

اللهم عاملنا بإحسانك ، وتدارکنا بـــفضلك وامتنانك ، وتولنا بـــرحمتك وغفرانك ، ولا تحرمنا بذنوبـــنا ، ولا تطردنا بعيوبـــنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين .

المجلس الرابــــع

في فضل السبع الأواخر من عشر رمضان وليلة القدر

الحمد لله الذي ظهر لأبصار البصائر عيانا ، فامتلأت قلوب عارفيه به إيمانا ، الحي الباقي فلا يزول ولا يتفانا السميع البصير ، فهو يسمعنا ويرانا .

نحمده على ما أولانا ، ونشكره ، وكيف لانشكر مولانا .

ونشهد لهُ بالوحدانية سراً وإعلانا ، وأن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا أنصاراً له على الحق وأعوانا : أبي بـــكر وعمر وعثمان وعلي ، سادات الأمة الشجعانا ، وعلى ســائر أصحابــه والتابــعين لهم بإحسان وسلم تسليما .

عباد الله : قد أقبلت إليكم ليلة القدر ، ولها أعظم الشرف ووافي الأجر ، ليلة شرفها الله على غيرها ، ومنَّ على عباده بجزيل خيرها ، ليلة أنزل الله فيها القــرآن ، وأجزل فيها الأفضال والإحسان ، فخذ أيها الإنسان بنصيبك الحسن ، واهجر لذيذ النوم وطِيبَ الوَسَن (١) ، وجاف جنبيك الفراش الحســن ، واعلموا أن هذه الليلة ليلة أربع وعشرين ، وهي أول السبع الأواخر ، وقد قال طائفة من أهل العلم إنها ليلة القدر ، وممن قال ذلك : الحسن البصرى ، وأهل البصرة كافة ، ورُوي عن أنس أنه يقول بذلك .

وكان حميد الطويل وأيوب السختيانى ، وثابت البــناني يحتاطون فيجمعون بين الليلتين – أعنى ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين – ، لأن ليلة ثلاث وعشرين وهى أول السبع على حساب نقصان الشهر ، وأربع وعشرين هى أول السبــع على تمام الشهر .

---

(١) وهو شدة النوم أوأوله .. انظر القاموس (١٥٩٨)

وقال مجاهد (لَيْلةُ الْقَدْرِ ، ليلة أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ)

وروى سعيد بن جبير قال : قمنا مع ابن عباس رضى الله عنهما ذات ليلة في المسجد الحرام ، فخفق رأسه خفقة ، فقال : أي ليلة هذه ؟ قلنا : ليلة أربع وعشرين قال : الليلة ليلة القدر ، رأيت الملائكة نزلوا .

وقد قالت عائشة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم :

((أرأيت إن وافقت ليلةَ القدر ، ما أَقول فيها ؟ قال : قـولى اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)) (١)

العفُوُّ من أسماء الله ، وهو المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم ، وهو يحب العفو عن عباده ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بـعض ، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم الله بعفوه ، وعفوه أحب إليه من عقوبته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((اللهم أعُوذ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمعافاتك مِنْ عُقُوبَتِكَ)) (٢)

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (١٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الصلاة) باب : ((ما يقال في الركوع والسجود)) حديث رقم (٤٨٦) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأخرجه الترمذي في كتاب (الدعوات عن رسول الله) باب: ((دعاء: أعوذ برضاك من سخطك ..)) حديث رقم (٣٤٩٣) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن عائشة رضي الله عنها ..

قال يحي بن معاذ : ((لو لم يكن العفو أَحبَّ الأَشياءِ إِليه لم يَبْتَلِ بِالذَّنْبِ أَكْرَمَ النَّاس عليه)) يشير إلى أنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو .

قال بعض السلف الصالح : لو أَعلم أَحبَّ الأَعمال إِلى الله لا جتهدت فيه ، فرأى قائلاً يقول في منامه : إنك تريد مالايكون ، إن الله يحب أن يعفو ويغفر ، وإنما أحب أن يعفو ، ليكون العباد كلهم تحت عفوه ، ولا يدلّ عليه أحد منهم بعمل .

لَمَّا عرف الْعارفون جلاله خضعوا ، ولَمَّا سمع المذنبـــونَ عفْوهُ طَمعوا ، مَا ثَمَّ إلاَّ عفو الله أَو النار ، لولا طمـــع المذنبين في العفـــو ، لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة ، ولكن إذا ذكروا عفو الله استروحُوا إلى برد عفوه .

قال يحي بن معاذ : ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو ، إن كنت لا أَصلح للقُرب فشأنكم العفو عن الذنب .

كان مُطرِّف يقول في دعائه : اللهم ارض عنا ، فإن لم ترضَ عنا ، فاعفُ عنا.

من عظمت ذنوبه لم يطمع في الرضاء ، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ، ومن كملت معرفته لم يرنفسه إلا في هذه المنـــزلة .

يَارَبِّ عَبْـدُكَ قَـدْ أَتَا ... كَ وَقَـدْ أَسَاءَ وَقَدْ هَفَا

يَكْفِيكَ مِنْـهُ حَيَـاؤُهُ ... مِـنْ شَرِّ مَـاقَدْ أَسْلَفَا

حَمَلَ الذُّنُوبَ عَلَى الذنُّو ... بِ الْمُـوبِقَاتِ وَأَسْرَفَا

وَقَدِ اَسْتَجَارَ بِذَيلِ عَفْـ ... ـوِكَ مِنْ عِقَابِكَ مُلْحِفَا

يَا رَبِّ فَاعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ ... فَلأَنْتَ أَوْلَى مَنْ عَفَـا

واعلم أنه لايصلح لمناجاة الملوك في الخلوة إلا من زين باطنه وظاهره وطهَّرهما خصوصاً لملك الملوك ، الذي يعلم السر وأخفى ، وهو لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره بالخشوع والإطراق وحسن الأدب في العبادة ، ويزين باطنه بلباس التقوى .

خطب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه آخر خطبة خطبها ، قال فيها :

((إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم موعداً ينزل الله فيه للفصل بين عباده ، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحُرِمَ ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّموَاتُ والأَرضُ﴾ (آل عمران/ ١٣٣)

ألا ترون أنكم في أَسلاب الهالكين ؟ وسيرثها بعدكم الباقون ، كما تركها الماضون ، كذلك حتى تُرَدُّ إلى خير الوارثين ، وفي كل يوم تشيعون غاديا إلى الله ورائحاً قد قضى نحبه ، وانقضى أجله . فتودعونه وتَدَعُونه في صدْعٍ من الأرض غير مُوَسد وَلا ممهد ، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، غنياً عما خلف ، فقيراً إلى ما أسلف ، فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت ، وانقضاء مواقيته ، وإني لأقول لكم هذه المقالة ، وما أَعلم عند أَحد من الذنوب أَكثر مما عندى ، ولكنى أستغفر الله وأتوب إليه .

ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ، ثم نزل عن المنبر ، فما عاد إلى المنبر بعدها حتى مات رحمة الله عليه)) .

هذه حال السلف الماضين ، هذه أحوال الخائفين ، انتبهوا يا راقدين .

كان شداد بن أوس إذا أَوى إِلى فراشه كأَنه حَبَّةٌ عَلى مِقْلى ، ثم يقول:

(اللهم إن جهنم لا تدعني أنام ، فيقوم إِلى مصلاه) .

وقالت بنت الربيع بن خيثم :

يا أبت مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام ؟

فقال : يا بنية إن أباك يخاف البَيَاتَ (١)

وكان زمعه العابد يقوم فيصلي طويلاً ، فإذا كان السحر نادي بأعلى صوته يا أيها الركب المعرِّسُون ؟ (٢) .

أكلَّ هذا الليل ترقدون ؟ ألا تقومون فَتُرحِّلُونَ .

فَيُسْمَعُ مِنْ ها هنا باك ، ومِنْ ها هنا داع ، ومِن ها هنا منوحـــون ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته (عند الصَّباح يَحْمَدُ القوم السُّرَى)

عباد الله : الدنيا في إدبار ، وأهلها في استكثار ، والزارع فيها غير التقـــى لا يحصد إلا الندم ، وأسفاً من الصحيفة إن نشرها ، واحزناً على الذنوب إن أظهرها ، واحسرتا على خطايا ما غفرها .

يا من حادَ عن الطريق وقد أبصرها ، يا من شاهد نجاته وكأنه لم يرها ، تالله لقد آذى العاصي نفسه وعثَّرها ، كم سمع من موعظة من مذكرٍ قد قررها ، ثم أعرض عنها بعد ما فهمها وتدبرها .

يا مبارزاً بـــالمعاصي رب الأربـــاب ، من أعظم منك صبراً على العذاب . أنسيت معادك ، وأطلت أملك ، وأعرضت إلى الهوى عن أمرِ مَنْ مَلَك .

---

(١) تقول العرب بيَّتَ العدو : أي أوقـــع بهم ليلاً .. انظر القـــاموس (١٩٠) ، والمعنى أنه رحمه الله يخشى المبيت كما يخشاه من كان خائفاً من عدوه أن يبِّيته ..

(٢) أي النائمون ليلاً ، وأعرس القوم إذا نزلوا في السفر آخر الليل للاستراحـــه .. انظر القـــاموس (٧١٨) .

لقد أناخ التقصير والتمادي ببابك ، وقل أن يَعبقَ (١) بريح الثواب شيء من أثوابك ، والشيطان يجري منك مجرى الدم ، فهو متمكن منك إذا قمت في محرابك ، من حين قولك الله أكبر ، تقوم إلى صلاتك وأنت متكاسل ، وتدخل في العبادة والقلب غافل ، وتستعجل في الصلاة لأجل العاجل ، وإذا نظرنا إلى بعد الفراغ الحاصل ، فالجسد أقبل والقلب أدبر .

يا من ذل المعاصي يعلوه ، يا مظلم القلب متى تجلوه ، هذا القرآن يتلى عليك وتتلوه ، ولكن ما تدبرَّ ، كيف بك إذا خلت الديار ، وذهب الليل والنهار ، والإنس والجنْ والأطيار ، ونضبت البحار والأنهار ، وبست الجبال ، فصارت كالغبار ، وقال الملك العظيم الجبار :

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ : للهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر/١٦) .

كيف بك إذا قامت الأقدام حتى تعبت ونَصَبَتْ ؟ وكلما سعت تعثرت في الطريق وكبت ، وسقطت الجبال ولطالما انتصبت ، وظهرت المخبآت التي كانت قد احتجبت ، والحوض غزير الماء ، وكم نفس ما شربت ، وجيء بالنيران فزفرت وغضبت ، ونهضت مسرعة إلى أربابها ووشبت ، فانزعجت القلوب ، ورهبت وهربت ، وكيف لا تنزعج وهي تدري أنها طلبت ؟ ، وميزان الأعمال على العدل قد نصبت ، ونادى المنادي فبكت العيون وانتحبت :

---

(١) أي يلزق ويمسك .. وانظر القاموس (١١٧٠) .

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْس مَّا عَمِلَتْ ﴾

اللهم أعتقنا من النار ، وسلِّمنا من دار البوار ، ووفقنا لسلوك عبادك الأخيار واغفرلنا جميع الذنــوب والأوزار ، وعــاملنا بمحض فضـــلك و كرمك يا أكرم الأكرمين ، وعمنا بعفوك ومغفرتك ووالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المجلس الخـــامس

في فضل ليلة خمس وعشرين من رمضان المعظم

الحمد لله المعروف بدليله ، الهادي إلى سبيله ، الصادق في قيله ، المشـــكور على كثير الإنعام وقليله .

أحمده على فضله الشامل ، وأشكره على إحسانه الكامل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة ظهر نورها ولاح ، وغدا برهانها وراح .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله : أرســـله والحق داثر ، وقَدَمُ الصواب عاثر ، فقمع الباطلَ بالحق الظاهر ، ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر .

صلى الله عليه وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ذوي المفاخر ، وســـلم تسليما .

عباد الله ، اجتهدوا في إخلاص الأعمال والابتهال إلى ذي العظمة والجلال ، في بقية هذه الأيام والليال ، ولا تغتروا بهذه الأعمال القصيرة ، فإنها قريبـــة الزوال ، واعلموا أن هذه الليلة ليلة خمس وعشرين ، وقد رُوي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((التمسوها)) أى ليلة القدر ، ((في تاســـعة تبقـــى أو في خامسة)) وفي رواية في ((تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين)) (١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (فضل ليلة القدر) باب : ((تحري ليلة القـــدر في الوتر من العشـــر الأواخر)) حديث رقم (٢٠٢٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر الأواخر هي في تسع يمضين أو في سبـــع يبقـــين يعنى ليلة القـــدر)) وأخرج الترمذيُ في (الصوم عن رسول الله) باب : ((ما جاء في ليلة القدر)) حديث رقم (٧٩٤) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت يعني – النبي صلىالله عليه وسلم – يقول: ((التمسوها في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث أو آخر ليلة)) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحـــيح وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٩٤٨٢) .

قال مالك : أرى – والله أعلم – أن التاسعة ليلة إحدى وعشرين ، والسابعة ليلة ثلاث وعشرين ، والخامسة ليلة خمس وعشرين .

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ولهذا ورد في الحديث الصحيح ((أنه تفتح فيه أبواب الرحمة)) (١) وفي الترمذي وغيره : ((ولله عُتَقَاء مِنَ النَّارِ ، وذلك كل ليلة)) (٢) ولكن الأغلب على أوله الرحمة وهي للمحسنين المتقين .

وقال تعالى :

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف/ ٥٦)

وقال تعالى :

﴿ورحمتي وسعتْ كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ (الأعراف/ ١٥٦)

فيفاض على المتقين في أول الشهر خلع الرحمة والرضوان ويعامل أهل الإحسان بالفضل والامتنان .

وأما أوسط الشهرفالأغلب عليه المغفرة ، فيغفر فيه للصائمين ، وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغار ، فلا يمنعهم ذلك المغفرة ، كما قال تعالى :

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للناس على ظُلْمِهِمْ﴾ (الرعد/ ٦)

وأما آخر الشهر فيعتقُ فيه من النار من أوبقته الأوزار .

فبادروا رحمكم الله ما بقى من شهركم ، فإنه مغتنم ، واستدركوا ما فات منه بالحسرة والندم ، فمن أصلح ما بقي واستدرك ما مضى نال الفوز وأدرك الرضى ، ومن أفسد بالمعاصي أيام عَشْرِهِ : ندِمَ يومَ الأخذ بالنواصي يوم حَشْرِهِ ، فيا مصلحا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الصيام) باب : ((فضل شهر رمضان)) حديث رقم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ..

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب (الصوم عن رسول الله) باب : ((ماجاء في فضل شهر رمضان)) حديث رقم (٦٨٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ..

في أيام شهره الماضية : هذه العشـــر أَحْسَنُهَا ، ويا مجتهداً فيما خلا منه : هذه الأيام أَزْيَنُهَا فبادر صحتك واغتنمها ، واحــــفظ مجاهدتك في الطاعة والتزمها ، واعرف فضائل شهرك واعتلمها واجتهد في صلاتك ، وتأدب في صومك ، كم أَنعمَ عليك مولاك نعماً بعد نعم ، وكم مَنَّ عليك بألطاف الرفق والكرم ، وكم مرضت فشفاك من ذلك الألم ، فاستدرك عمرك فقد بقي القليل ، وتيقظ للممات وتزود للرحـــيل وتب من ذنبك فإن ربك عطاؤه جزيل .

يروى عن ذي النون المصري أنه رأى في منامه حورية تقول :

أَتَخْطُـــبُ مِثْــلي وَعَنّى تَنَـــامْ ؟
وَنَــوْمُ الْمُحِبِّ عَلَيْــهِ حَــرَامْ
فَقُمْ فِي دُجَى اللَّيْلِ وَسْطَ الظَّلَامْ
بقَــلْب حَزِينٍ وَدَمْـــعٍ سِجَامْ
فَمِثْــلي يُـــزَفُّ إلَى عَابِــد
كَثِيرِ الصِّيَـــام طَـــوِيلِ الْقِيَـــامْ

تَيَقَّظْ بِساعات مِنَ اللَّيْلِ يَا فَتَى
لَعَلَّكَ تَحْظَى فِي الجِنَانِ بِحُورِهَا
فَتَنْعَـــمَ فِي دَارٍ يَـــدُومُ نَعِيمُهَا
مُحَمَّدٌ فِيها وَالْخَلِيلُ بُـــدُورُها

قال بعض الصالحين : بينما أنا سائر في بعض جبال بيت المقدس إذ هبـــطت واديا ، وإذا برجل قائم بين شجرتين يردد : هذه الآية : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْس مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيرْ مُحْضَراً﴾ (آل عمران/ ٣٠) الآية . فلـــم يزل يرددها حتى صـــــاح ووقع مغشيا علي ، ثم أفاق بعد ساعة وهو يقول : أعوذ بك من مقام الكذّابين، أعوذ بك من أعمال البطالين ، أعوذ بك من إعراض الغافلين ، خشعت قلوب الخائفين ، وإليك

رفعت أعمال المقصرين ، ولعظمتك ذلت رقاب العارفين ، ثم نفض يديه وقـال : مالي وللدنيا ، عليك يا دنيا بأبناء جنسك ، واللاهين في نعمتك ، إلى محبيك أذهبي ، وإياهم فاخدعى . قال فناديته : يا عبدالله أنا منذ اليوم منتظر أن تفرغ لي ، فقـال : كيف يتفرغ من يبادر الأوقات وتبادره ، ويخاف سبقها بـالموت على نفسـه ؟ أم كيف يتفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ، ثم قرأ :

﴿وَبَدَا لَهُم مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر/ ٤٧)

ثم صاح صيحة أشد من الأولى ، وخر مغشيا عليه ، فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه ، فإذا هو يضطرب ، ثم أفاق وهو يقول : من أنا ، وما خاطري ؟ هب لي إساءتي بفضلك ، وجللني بسترك ، واعف عن ذنوبي بكرمك ، فقـلت له بـالذي ترجوه إلا ما كلمتني ؟ فقال : عليك بكلام من ينفعك كلامه ، ودع كلام من أوثقته آثامه ، إني لفي هذا الموضع ما شاء الله ، كأني أجاهد إبليس ويجاهدني ، فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه إلا بك ، إليك عني ، فقد شَغَلْتِني ، ومالت إلى حديثِكَ شُعبةٌ من قلبي ، قال فانصرفت وتركته .

- شمروا والله حتى وصلوا ، ووقفوا بالباب حتى قُبلوا ، فطوبى لهم إذا وجدوا ما عملوا ، ما أقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ، وما كان إلا القليل حتى نالوا ما طلبوا ، يا أيها الراحل وما له رواحل ، متى تسمع قول العاذل ؟ هذا العدو ينصب الحبـائل ، إلى كم ترضى باسـم الجاهل ؟ كم تَعِدُ بالتوبـة وكم تماطل ، وكم أسمعك الموت وعيدك ؟ فلم تنتبه حتى قطع وريدك ، ونقض منـزلك وهدم مَشِيدَكْ ، ومزق مالك وفرق عبيدك ، وأخلى دارك أما رأيت قرينك ؟ أما أبصرت فقيدك ؟ ياميتا عن قليل مهد تمهيدك ، لقد أمرضك الهوى وفي عزمه أن يزيدك ، أفٍّ لعيش آخـره الندامة ،

آه من سفر بدايته القيامة ، هذا نذير الموت قد غدا ، يقول لكم الرحيل غدا ، كيف بكم إذا صاح إسرافيل في الصور بالصور ؟ فخرجت تسعى من تحت المدر ، وقد رجت الأرض ، وبست الجبال، وشخصت الأبصار لتلك الأهوال ، وطارت الصحائف ، فَقلِق الخائف ، وشاب الصغار ، وزفرت النار ، وأحاطت الأوزار ، ونصب الصراط وحضر الحساب ، وقرب وشهد الكتاب ، وتقطعت الأسباب ، فكم من شيخ يقول واشيبتاه ، وكم من كهل ينادي واخيبتاه ، وكم من شاب يصيح واشباباه ، برزت النار فأَحرقت ، وزفرت غضبا فمزقت ، وتقطعت الأفئدة وتفرقت والأحداق قدسالت ، والأعناق قد مالت ، والألوان قد حالت ، والمحن قد توالت ، أين عدتك لذلك الزمان ؟ أين تصحيح اليقين والإيمان ؟ أترضى يومئذ بالخسران ؟ أما تعلم أنك كما تدين تدان ؟ يا من قد ملأ كتابه بالقبيح ، وهو عما قليل رهن الضريح ، كم في كتابك من زلل ، كم في عملك من خلال ، هذا وقد قرب الأجل ، كم ضيعت واجبا وفرضا ، ونقضت عهدا محكما نقضاً ، وأتيت حراما صريحا محضاً، يا أجساداً صحاحاً فيها القلوب مرضى .

عباد الله : أطول الناس حزناً في الدنيا أكثرهم فرحاً في الآخرة ، وأشد الناس خوفاً في الدنيا أكثرهم أمناً يوم القيامة .

يقول الله تعالى : ((لا أجمع على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة)) (١)

---

(١) أخرجه ابن حبان بنحوه في صحيحه (٢/٤٠٦) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٠٨) : ((وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم رفعه قال : لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إن أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة وإن أمنته في الدنيا أخفته في الآخرة وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بنحوه رواهما البزار عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون و لم أعرفه وبقية رجال المرسل رجال الصحيح و كذلك رجال المسنَد غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث)) أ.هـ.

وعظ أعرابي ولده فقال : أي بني إنه من خاف الموت بـــادر الفوت ، ومن لم يكشح نفسه (٢) عن الشهوات ، أسرعت به التبعات ، والجنة والنار أمامك .

– يا دائم الخطايا والعصيان ، يا شديد البطر والطغيان ، ربح المتقـــون ولك الخسران .

لو رأيت أهل الزيغ والعناد ، وأرباب المعاصي والفساد ، مقـــــــرنينَ في الأصفاد ، سرابيلهم من قَطِران .

قد سدت في وجوههم الأبواب ، ونسيهم الأهل والأصحـــاب ، وغضب عليهم رب الأرباب ، والنار شديدة الالتهاب ، والعذاب فيها ألوان .

قد أعرض عنهم الرحيم ، ومنعهم خيره الكريم ، يتقلبون في الجحيم .

سعيرهم قد أحرق ، وزمهر يرهم قد مزق ، ونور المتقين قد أشرق .

أيها العاصي قد اجتهدنا في صلاحـــك ، وعرضنا في التجارة لإرباحـــك ، وأنت على المعاصي في مسائك وصباحك ، وبعدُما نيأس من صلاحك .

سيق والله القوم ، بكثرة الصلاة والصوم ، وإذا أقبل الليل حاربـــوا النوم ، ويقومون بالليل إذا انطبقت أجفان الهاجع ، تتجافى جنـــوبهم عن المضاجع .

كن يا هذا رفيقهم ، ولج وإن شَقَّ مضيقهم ، واسلك ولو يوماً طريقـــهم ، فالطريق واسع .

اهجر بـــالنهار طيب الطعام ، ودع في الدجى لذيذ المنام ، وقـــل لأغراض النفس سلام .

اللهم يا من فتح بابه للطالبين ، وأظهر غناه للراغبين انظمنا في سلك حزبك المفلحـــين ، واجعلنا من عبـــادك المخلصين وآمنا يوم الفزع الأكبر يوم الدين . واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقـــين والشـــهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، بـــرحمتك يا أرحـــم الراحمين .

---

(١) أي من لم يستر نفسه عن الشهوات .

المجلس السادس
في فضل قيام الليل

الحمد لله المتفرد بالقدم والبقـاء ، والعظمة والكبرياء ، والعز الذي لا يُرام ، الواحد الأَحد ، الفرد الصمد ، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته .

أحمده على جميع نعمه الوافرة الجسام، وأشكره وأسأله حفظ نعمة الإسلام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، عز من اعتز به فلا يضام ، وذل من تكبر عن أمره ولقي الآثام ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الذي بين الحلال والحرام .

صلى الله عليه وعلى أصحابه أبي بـكر وعمر وعثمان وعلي الكرام ، وعلى جميع الصحابة والتابـعين لهم على الإيمان والإسـلام ، صلاة دائمة إلى يوم العرض والمقام وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : ﴿كانُوا قليـلاً من الليل ما يهجعون وبالأسـحار هم يستغفرون ﴾ الذاريات ، الآيتان ١٧، ١٨ وقال تعالى : ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ (الفرقان/٦٤) وقـال تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءا بما كانوا يعملون ﴾ السجدة ، الآيتان ١٦، ١٧ .

وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((يَنْزِلُ رَبُنا تَبَارَكَ وَتَعَالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ الـلَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُـونِي فَأَسْـتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْـأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْـتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)) (١)

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (١٠٦) .

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله عزوجل إلى السماء الدنيا ، ثم تفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول هل من سائل يعطى سؤله فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر)) (١) . وقيل لبعض السلف : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال : ((لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره)) وقال كعب الاحبار : ((إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل في بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى النجوم في السماء)) .

عباد الله : الا طالب لفضل ربه ؟ ألا راغب لوصله ؟ ألا مجد لقصده ؟

انتبه يا راقد من رقدتك ، وأفق من سكرتك ، وتيقظ من غفلتك ، فياخيبة من لم يفز من ربه بحبه وقربه .

أين المتهجدون في جنح الظلام ؟

ذهبو إلا قليلاً ، فعليهم السلام .

روي أن سفيان الثوري شبع ذات ليلة ، فقام يصلي إلى الصباح وقال : الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله .

وكان طاوُس اليماني يفرش فراشه فيتقلب عليه كما تقلب الحبة في المقِلى ، ثم يقوم فيدرجه ، فيقوم إلى الصباح ويقول : ذكر جهنم أطار نوم العابدين .

وكان عبد العزيز بن أبي رواد يأتي فراشه بالليل فيمد يده عليه ، ويقول : إنك والله للين ، وفراش الجنة ألين منك فيدرج فراشه ويقوم يصلي الليل كله .

وكان الفضيل بن عياض يقول : إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل ، فاعلم أنك مكبل ، قد كبلتك خطيئتك .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٢٤٩١)

وقال الحسن : إن الرجل ليحرمُ قيام الليل بالذنب يصيبه وعن مالك ابن دينار قال : إن لي ورداً أقرأه كل ليلة ، فغفلت ذات ليلة عنه فلم أقرأه ، فرأيت في منامي جارية كأحسن ما يكون ، في يدها رقعة ، فقالت :

أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم فدفعتها إلَيَّ ، فإذا فيها هذه الأبيات :

أَأَلْهَتْكَ اللَّذَائِذُ والأَمَاني

عَنِ الْبِيضِ الْحِسَانِ فِي الْجِنَانِ

تَعِشْ مُنَعَّماً لاَ مَوْتَ فِيهَا

وَتَلْهُو فِي الْجِنَانِ مَعَ الْحِسَانِ

تَنَبَّهْ مِنْ مَنَامِكَ إِنَّ خَيْرًا

مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بالقُرَانِ

الخلق هجوع ، وهم بين يديه ركوع ، الخلق نيام وهم بين يديه قيام، الخلق قعود وهم بين يديه سجود ، كانت أقدام القوم في الدجى قائمة ، وأعينهم في جوف الليل ساهرة لانائمة ، وقلوبهم على الطاعة عازمة ، وهذه أفعال النفوس العازمة ، فوجبت لهم نجاة قطعية جازمة ، وجوه طالما غسلتها الدموع ، وجوه طالما أذلها الخشوع ، وجوه ظهر عليها الإصفرار من الجوع ، خاطرت في المهالك ، فأصبحت سالمة .

عباد الله جدوا بالأعمال الصالحة قبل نزول الموت فقد جاءتكم النذر .

– ذكر أنَّ بَعْضَ الأَنْبياء قَالَ لِمَلَكِ الْمَوْت : أَمَا لَكَ رَسُولٌ تُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ لِيَكُونَ النَّاسُ عَلَى حَذَرٍ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ واللهِ لي رُسُلٌ كَثِيرَةٌ مِنَ العِلَلِ وَالأمراضِ وَالشَّيْب وَالْهَرَم وَنَقْصِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَإذَا لَمْ يَتفكَّرْ مَنْ نَزَلَ بِهِ ذَلِكَ فِي الْمَوْتِ ، ولَمْ يَتُبْ ولَمْ يَحْصِّلِ الزَّادَ نَادَيْتُه عِنْدَ قَبْضِ رُوحِهِ : أَلَمْ أُقَدِّمْ إِلَيْكَ رَسُولاً بَعْدَ رَسُولٍ ، وَنَذِيراً بَعْدَ نَذِير ؟ فَأَنَا الرَّسُولُ الذِي لَيْسَ بَعْدِي رَسُولٌ ، وأَنَا النَّذِيرُ الَّذِي لَيْس بَعْدِي نَذِيرٌ

وفي البـــخاري مرفوعاً : ((أَعْذَرَ اللهُ إِلَى أَمْرِىءِ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَه سِتِّينَ سَنَةً)) الحديث (١)

ولا يصلح لمن بلغ ستين ســنة أن يلهو ويلعب قــال تعالى ﴿ أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النــذير﴾ وكان الطبري رحمه الله يقول : النذير في هذه الآية هو الشيب (٢)

فرحم الله من اغْتنم في بقية عمره الأعمال الصالحة ، وأقبــل على ربــه في معاملته ، وأخلص له في صيامه وصلاته ، وأقبل فيها إلى ربــه عز وجل ، خاشــعاً خاضعاً ، ذليلاً لله عز وجل ، خائفاً ، داعياً ، وجلاً ، مشفقــاً ، راجيا ، وجعل أكثر همه في صيامه وصلاته ومناجاته إياه وانتصابه بــين يديه قــائماً وقــاعداً ، وراكعاً وساجداً ، وفرغ لذلك قلبــه وثمرة فؤاده ، واجتهد في أداء فرائضه ، فإنه لايدرى : هل يصوم غير يومه الذي هو فيه ، أويصلي صلاة غير التى هو فيها ، أو يعاجَلُ قبــل ذلك ، فقام بين يدي ربه محزونا مشفقاً ، يرجو قبول أعماله ويخاف ردها ، إن قبلها سَعِدَ ، وإن ردها شَقِيَ .

فما أعظم خطرك يا أخي في صيامك وصلاتك وفي غيرهما من عملك .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الرقــاق) باب : ((من بلغ ستين ســنة فقد أعــــذر الله إليه في العمر)) حديث رقم (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ..

(٢) قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفســيره (١٤٢/٢٢) : ((وقــوله (وجاءكم النذير) اختلف أهل التأويل في معنى النذير فقال بعضهم عني به محمداً صلى الله عليه وسلم ... وقيل عنى به الشيب ، فتأويل الكلام إذن أو لم نعمركم يامعشر المشركين بالله من قريش من السنين مايتذكر فيه من تذكر من ذوي الألباب والعقول واتعظ منهم من اتعظ وتاب من تاب وجاءكم من الله منذر فيذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله فلم تتذكروا مواعظ الله و لم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم)) أ.هـــ.

ما أولاك في الهم والحزن والخوف والوجل فيهما وفيما افترض الله عليك ، لأنك لاتدري هل تقبل منك قط صوماً أو صلاة أم لا ، ولا تدرى هل تُقُبِّلَ منك حسنة قط أم لا ،وهل غفر لك سيئة قط أم لا ! ثم أنت مع هذا تضحك وتغفل ، أوَ ينفعك العيش وقد جاءك اليقين أنك واردٌ النارَ ، و لم يأتك اليقين أنك صَادرٌ عنها ؟ فمن أحق بطول البكاء وطول الحزن منك حتى يتقبل الله منك ، ثم مع هذا : لا تدري لعلك لا تصبح إذا أمسيت ، ولا تمسي إذا أصبحت ، فمبشَّرٌ بالجنة أو مبشَّر بالنار .

- إنما ذكرتك يا أخي لهذا الخطر العظيم ، إنك لمحقوق أن لاتفرح بأهل ولا ولد ولامال . وإن العجب كل العجب من طول غفلتك ولهوك . وطول سهوك عن هذا الأمر العظيم . وأنت تساق سوقاً عنيفاً في كل يوم وليلة ، وفي كل ساعة وطرفة عين فتوقع يا أخي أجلك ، ولا تغفل عن هذا الأمر العظيم الذي قد أضلك ، لأنك لابد ذائقُ الموتَ ولاقيه ، ولعله ينزل بساحتك في صباحك أو مسائك أيسر ما تكون على الدنيا إقبالا ، فكأنك قد أخرجت من ذلك كله فسلبته ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، انقطعت الصفات ، وقصرت الحكايات عن بلوغ صفتهما ومعرفة قدرهما ، والإحاطة بغاية خبرهما ، أما سمعت يا أخى قول العبد الصالح : عجبت للنار كيف ينام هاربها ؟ وعجبت للجنة كيف ينام طالبها (١) ، ؟ فوالله لئن كنت خارجاً من الهرب والطلب ، لقد هلكت وعظم شقاؤك ، وطال حزنك وبكاؤك غداً مع الأشقياء المعذبين ، ولئن كنت تزعم أنك هارب طالب ، وأنت قاعد متكاسل على قدر ما أنت عليه من عظم هذا الخطر ، فلا تغرنك الأماني .

---

(١) يعني الحسن البصري ، وروي مرفوعاً حيث أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مارأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها)) انظر كتاب (صفة جهنم عن رسول الله) حديث رقم(٢٦٠١) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٣٠) : ((إسناده حسن)) وحسنه الألباني أيضاً في صحيح الجامع (٥٦٢٢) .

عباد الله إن عشركم قد أذنت بالرحيل و لم يبق منها إلا القليل ، فودعوها بالتوبة والإقبال تربحو عند الملك المتعال ، ويجزل لكم الثواب والإفضال ، ويسكنكم الجنة دار السلام .. دار ليس فيها ما يشينها ... دار لا يفنى منها ما يزينها .. دار لايزول عزها وتمكينها .. دار أشرقت حُلاَها .. دار جل من بناها .. دار طلب للأبرار سكناها .. دار تبلغ النفوس فيها مناها .. دار أين خاطبوها فقد وصفناها .. سكانها قد أمنوا مما يخافون .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل .

اللهم ارحمنا فإنا تائبين إليك في هذه الساعة ، وتعطَّف على يَدٍ امتدت إليك بالذل والضراعة .

اللهم أيقظنا من نوم الغفلة ، ونبهنا لا غتنام أوقات المُهلة .

اللهم وفقنا لمصالحنا ، واعصمنا من ذنوبنا وقبائحنا ، ولتعمل في طاعتك جميع جوارحنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

المجلس السابع

في فضل ليلة سبع وعشرين من رمضان

الحمد لله عالم السر والجهر، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر، محصي قطرات الماء وهو يجري في النهر، موفر الثواب للأحباب، ومكمل الأجر، سبحانه العظيم القهر، أحمده حمداً لا منتهى لعده.

وأشهد بتوحيده شهادة مخلص في معتقده.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، الذي نبع الماء بين أصابع يده، صلى الله عليه وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى سائر آله واصحابه، المحسن كل منهم في مقصده وسلم تسليما.

عباد الله: هذه الليلة هى ليلة سبع وعشرين، وقد قال كثير من العلماء هي ليلة القدر، لما روى الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يانبي الله إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عليل يَشُقُّ عَلَي الْقِيَام فأمرني بِليلَة لعل الله يُوَفِّقني فِيهَا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ. قال عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ)) (١)

وروي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((منْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّها لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وقَالَ: تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ليلة القدر)) (٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٠٤٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٧٤): ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (٤٥٧٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٧٦) ((قلت: لا بن عمر حديث في الصحيح غير هذا رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)) قلت: ولعله يشير إلى حديث ابن عمر - رضى الله عنه - الذي أخرجه مسلم في صحيحه وهو الحديث التالي.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أيضاً : ((قال: رأى رجل أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين فقال : النبي صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم في العشر الأواخر فاطلبوها في الوتر منها)) (١)

وممن كان يقول بذلك أُبَي بن كعب ، وكان يحلف عليه ولا يستثني (٢) وحكاه سفيان الثوري عن أهل الكوفة فقال : نحن نقول : هى ليلة سبع وعشرين لما جاءنا عن أبي بن كعب . وقد تقدم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((مَنْ قَامَ لَيْلة الْقَدْرِ إيمَانًا وَاحتِسابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (٣)

فينبغي أن يجتهد ويبادر عمره بالاجتهاد ، فبقدر عمله يزيد جزاؤه ، وعلى قدر تقصيره يقل عطاؤه ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، فلايطمعن البطال في ثواب العمال ومقام الأبطال ، ولا الجاهل في ثواب العاقل .

قال الله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَات أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَواء مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية/ ٢١) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الصيام) باب : ((فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرضى أوقات طلبها))

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب : ((الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح)) حديث رقم (٧٦٢) عن زر بن حبيش قال : سمعت أبي بن كعب يقول : ((وقيل له إن عبدالله بن مسعود يقول : من قام السنة أصاب ليلة القدر فقال أبي والله الذي لا إله إلا هو إنها يعني لفي رمضان يحلف ما يستثنى ووالله إني لأعلم أي ليلة هِيْ هِيَ الليلة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة صبيحة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لاشعاع لها)) .

(٣) تقدم تخريجه صفحة (٣٩) .

وقد روي عن أبي هـــريرة رضي الله عنـــه أن النبي صلى الله عليه وســـلم قال : ((مَا مِن أحد يموت إلاَّ نَدِمَ قالوا : وما ندامته يا رســـول الله قـــال : إِنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ ازْداد وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ نزع)) (١)

إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة ، فيكف يكون حال المسيء ؟

واعلموا رحمكم الله أن الأعمال بالخواتيم ، فمن أصلح فيما بقـــي غفر له ما مضى ، ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وبما مضى .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وســـلم أنه قـــال : ((إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرمها فقد حـــرم الخير كله ولايحرم خيرها إلا محروم)) (٢)

المبادرة إلى اغتنام العملِ في هذه الليلة الشريفة ، وما بقي من الشهر في بقـــية العمر ، فإن ذلك غنيمة ، فعسى نستدرك به مافات وضاع من العمر ... تولى العمر في سهو وفي لهو وفي خُسْر ... فيا ضيعة ما أنفقت في الأيام من عمري ... ومالي في الذي ضيعت من عمري من عذر ...

أما قد خصنا الله بشهر أيما شهر ... بشهر أنزل الرحمة فيه أشرف الذكر .. وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القـــدر .. ففيها تنـــزل الأَملاك والأَنوار والبر ... وقد قـــال : سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ... أَلا فادخروها فإنها من أَعظم الذخر .. فكم من معتق فيها من النار وهو لايدري .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب (الزهد) باب : ((يوم القيامة وندامة المحســـن والمســـيء يومئذ)) حديث رقم (٢٤٠٣) وقال الترمذي : ((هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه ، ويحيى بن عبيدالله قد تكلم فيه شعبة وهو يحيى بن عبيدالله بن موهب قَدَنيٌّ)) أ.هـــ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب (الصيام) باب : ((ماجاء في فضل شهر رمضان)) حـــديث رقـــم (١٦٣٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٤٤) .

عباد الله إن شهر رمضان مضمار السابقين وغنيمة الصادقين ، فيه تضاعف الأعمال وتحط الأوزار الثقال ، وفيه يجاب السؤال ويغفر للمستغفر ويقال فهو غُرَّةُ الدهر ومصباح الشهور ، ثم فيه ليلة القدر التي جعل الله عبادها خيراً من عبادة ألف شهر . ورُوي في الصحيح : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه الله أعمار الناس قبله ، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر)) (١)

كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام ، فصلى ليلة ودعا ، فغلبته عيناه فنام ، فرأى في منامه جماعة علم أهم ليسوا من الآدميين ، بأيديهم أطباق عليها أرغفة كبياض الثلج ، فوق كل رغيف در أمثال الرمان ، فقالوا : كُل ، فقلت : إني أريد الصوم . قالوا : يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل . قال فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأحمله ، فقالوا له : دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا ، قال : أين ؟ قالوا : في دار لا تخرب ، وثمر لا يتغير ، وملك لا ينقطع ، وثياب لاتبلى فيها رضاً وقرة عين ، أزواج راضيات ومرضيات لا يفرن ولا يغرن ، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه ، فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار ، فما مكث بعد هذه الرؤيا إلاّ جمعتين حتى مات ، فرآه ليلة وفاته بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه ، وهو يقول ألا تعجب من شجر غرس لي في يوم حدثتك وقد حَمَل . فقال له : ما حَمَل ؟ فقال : لا تسأل ، لا يقدر أحد على صنعته ، لم يُر مِثلُ الكريم إذا حل به مطيع .

قال حماد بن سلمة : كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما

---

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلاً في الموطأ في كتاب (الاعتكاف) باب : ((ماجاء في ليلة القدر)) (٣٢١/١) ونصه ((حدثني زياد عن مالك : أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر)) .

ويَتَطيبان ويطيبون المسجد بالنفوح والدخنية في الليلة التي يرجى فيها ليلة القـــدر ، قال ثابت : كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم ، كان يلبسها في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر .

أضاءت ليلة القدر بنور الإيمان ، فاستبدلت أنوار الفضائل عن ديجور الظلام .. قامت على برزخ الزمان فقاومت سائر الأيام .. فزادت بقـــدرها لا بمقـــدارها ، وقامت في فضائلها مفاخرة الدهر . قال جويبر : قلت للضحـــاك : أرأيت النُّفَسَاء ، والحائضِ ، والمسافر والنائم ، لهم في ليلة القدر نصيب ؟ قال : نعم ، كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر .

إخواني : المعوّل على القبول لا على الاجتهاد ، والاعتبار بـــبر القـــلوب لا بعمل الأبدان .. رب قائم حظه من قيامه السهر ... كم قائم محروم ، ونائم مرحوم ... هذا نام وقلبه ذاكر ، وهذا قام وقلبه فاجر ... لكن العبـــد مأمور بالســـعي في اكتســـاب الخيرات والاجتهـــاد في الأعمـــال الصـــالحـــات ، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لَمَا خُلِقَ لهُ . (١)

عباد الله : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن في بقيته للعابدين مستمتع ... وهذا كتاب الله فيه يتلى عليكم ويسمع وهو القرآن الذى لو أنزل على جبل لرأيتـــه

---

(١) هذه العبارة جزء من حديث علي رضي الله عنه في الصحيحـــين وغيرهما – ونصه – عن علي رضي الله عنه قال : ((كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكت بـــه الأرض فقال : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييســـر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقـــى وصدق بالحسنى) الآية ... أخرجه البخاري في كتاب (تفســـير القـــرآن) بـــاب : ((فسنيســـره للعسرى)) حديث رقم (٤٩٤٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب (القدر) بـــاب : ((كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقة وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته)) حديث رقم (٢٦٤٧)

خاشعاً يتصدع .. ومع هذا ، فلا قلب يخشع ولا عين تدمع ..

ولا صيام يصان عن الحرام فينفع .. ولا قيام استقام فيرجى لصاحبه أن يشفع .. قلوب خلت من التقوى فهى خراب بلقع ... وتراكمت عليها ظلمة الذنوب ، فهى لا تبصر ولا تسمع .

كم يتلى علينا آيات القرآن ، وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسـوة ... وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة .. لا الشاب منا ينتهى عن الصبوة ، ولا الشيخ ينـزجر عن القبيح فيلحق بالصفوة .

أين نحن من أقوام إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة ...

وإذا تليت عليهم آيات الله وجلت قـلوبهم وَجَلْتَها جَلْوة ... وإذا صاموا صامت منهم الأَلسن والأَسماع والأَبصار ، فما لنا فيهم أسوة .. كم بيننا وبين حال أهل الصفوة .. أبعد مما هنا وبين الصفا والمروة .. كلما حنت منا الأقوال ساءت منا الأعمال .. فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم إذا اطَّلعت في هذه الليلة على خلقك فَعُدْ علينا بمنك وعتقك ، وقدر لنا من الحلال واسع رزقك ، واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك .

اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك ، ومن قدّرت طول حـياته فاجعل في ذلك نعمتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بـرحمتك يا أرحـم الراحمين .

المجلس الثامن
في التحريض على الاعتذار من الهفوات واستدراك الوقت قبل الفوات

الحمد لله الذى أعان بفضله الأقدام السالكة ، وأنقذ برحمته النفوس الهالكة .

أحمده على الأمور اللذيذة والشائكة ، وأقر بوحدانيته إقرار عبد يعرف مالكه وأصلى وأسلم على نبينا صلوات متداركه .

صلى الله عليه وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعلى سائر الصحابة الذين أنار الله بهم منار الإسلام ، وأزال بهم ظُلَمَ الشرك والأهواء المتراكمة وسلم تسليما .

عباد الله : إن هذه العشر مباركة الليالي والأيام ، وهي سبب لمحو الذنوب والآثام ، وفيها يتوفر جزيل الأجر والإنعام ، فاعتذروا في هذه الليلة إلى الملك الكريم وتعلقوا بذيل جوده فإنه رحيم ، وأقبلوا بالقلوب إليه ، وقفوا بالخضوع والخشوع لديه ، وتعلقوا بجوده تعويلاً عليه ، وانكسروا بين يديه ، فإنه رحيم كريم .

– مدوا أنامل الرجاء إلى بابه ، واتبعوا بالبكا طريق أحبابه ، وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه ، واحذروا من سطوته وعقابه واعلموا أن بين يديكم يوماً لا كالأيام ، ينتبه فيه كل من غفل ونام ، وتزفر جهنم على أهل الآثام ، ويجثو فيه الخليل (١) والكليم ، قوموا بنا إلى مطلوبنا ، قفوا بنا على باب محبوبنا ، هلموا لنستغيث به من ذنوبنا ، لعله يهب على قلوبنا من العفو نسيم وتمر في الظلام وقت خلوة ، وقل بلسان الإفلاس والذلة : ((أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ)) من لم يقو على قيام الليل فليبك

---

(١) الخليل إبراهيم عليه السلام والكليم موسى عليه السلام ، وهاتان الصفتان حاصلتان أيضاً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

على نفسه بالنهار ، لابد من بكاء ، إما في زاوية العبادة ، وإما في هاوية الطرد ، إما أن يحرق قلبه بنار الندم والأسف ، أو بنار الشوق والشغف ، وإلا ((نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) يا ملولاً بالقيام مستلذاً بالمنام ، قم فقد فاتك يا مغبون أرباح الكرام ، وخَلَوْا دونك بالمولى وفازوا بالمرام ، وكذا سبقك القوم إلى دار السلام .

قال ثابت البناني : إذا نمتُ ، ثم استيقظتُ ، ثم ذهبتُ لأنام ، فلا نامت عيناي أبداً .

وكان السلف الصالحون يسمع من بيوتهم بالليل دوي كدوي النحل .

لو ذاق الغافل السهر في الظلام ، أو سمع الجاهل حِسَّ الصالحين عن القيام ، وقد نصبوا الأقدام وهممهم تجرى إلى القيام ، وتلذذوا بأشرف الذكر وأحلى الكلام وضربوا على شاطىء أنهار الصدق الخيام ، وجهزوا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وسرت قوافلهم وأهل الغفلة نيام ، وَشَكَوْا إلى محبوبهم ما يلقون من الغرام ، ووجدوا من لذة الأنس ما لم يخطر على الأوهام ، فإذا أصبحوا لبسوا جلباب الصيام ، وصابروا الهواجر ، بهجر الشراب وترك الطعام ، وتدرّعوا بدروع التقوى حذراً من الآثام ، فإذا جاءهم الموت طاب لهم كأس الحُمَام ، وإذا دفنوا في بقعة افتخرت بتلك العظام ، فعلى الدنيا من بعدهم السلام ، فسبحان من طهرهم من الأدناس ، واصطفاهم لخدمته من بين الناس ، وسقاهم من شراب صبُهُّ أطيب كاس ... منعك والله قيد الهوى حتى سار القوم ، وحبسك عن لحوقهم لذيذ النوم ، وقطعك فاني الشهوات عن ثواب الصوم ، الصلاة عندك أَثقل من الصخر على الصدر ، والزكاة أثقل من جبل أحد ، وصدرك في حديث الدنيا أوسع من البحر ، وفي العبادة أضيق من تسعين عقدة ، أنت في شهواتك أجرى من جواد ، وفي العبادة أَبطأُ من أَعرج ، يا من هو على نجاته أَنوم من الفهد ، ضيعت وقتاً أنفس من الدر ، إذا عرضت لك خطيئة وثبت كالنمر ، وإذا لاحت لك عبادة مطاعة رغت كالثعلب ، تستعمل في معاملتك عذر الذئب ، وتقدم على حظك إقدام الأسد ، وتخطف الأمانة اختطاف

الحدأة ، وما هذا وصف الصالحين .

قال سلمان الفارسي : ((كل ما شـــغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو عليك مشؤوم)) .

قال بعضهم رأيت شاباً جميل الصورة عليه عباءة خشنة ، فقلت له : ما هذا اللباس ؟ فقال : يا أخي إنما أنا عبد : ألبس كما يلبس العبيد ، فإن أعتقـــني ســـيدي لبست ما شئت .

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران ، فمن أسباب المغفرة فيه : صيامه وقيامه ، وقيام ليلة القدر فيه ، ومن أسباب المغفرة : تفطير الصّوام ومنها الاستغفار ، والاستغفار : طلب المغفرة ، ودعاء الصائم يســـتجاب في صيامه وعند فطره . (١)

وكان ابن عمرو إذا أفطر يقول : اللهم يا واسع المغفرة اغفر لي .

وفي حديث أبي هريرة المرفوع في فضل شهر رمضان ((ويغفر فيه إلا لمن أبى قالوا : ومن يأبى يا أبا هريرة ؟ قال الذي يأبى أن يستغفر الله)) (٢) .

ومنها استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا . فلما كثر أسباب المغفرة في رمضان ، كان الذي تفوته المغفرة محروماً غاية الحرمان .

وقال سعيد عن قتادة : كان يقال من لم يغفر له في رمضان ، فلن يغفر له في ما سواه ، وفي حديث آخر :

---

(١) تقدم صفحة (٢٧) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣١٨/٥) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((نعم الشهر شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنان وتصفد فيه مردة الشياطين ويغفر فيه إلا لمن أبى قالوا : ومن يأبى يا أبا هريرة قال : الذي يأبى أن يستغفر الله عز وجل)) أ.هـــ.

((رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له)) (١)

- إذا لم يغفر في رمضان فمتى ؟ متى يغفر لمن لم يغفر له في رمضان ؟ متى يقبل من رد في ليلة القـــــدر ؟ متى يصلح من لا يصلح في رمضان؟ كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الثمار ، فإنه يقطع ثم يوقد في النار ، من فرّط في وقـت البـذار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار :

تَرَحَّلَ الشَّـــهْرُ وَالَهْفَــاهُ وانْصَـرمَا
وَاخْتُصَّ بِالْفَوْزِ فِي الْجَنَّاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَـافِلُ الْمِسْكِينُ مُنْكسراً
مِثْلي فَيَــا وَيْحَــهُ يَا عُظْمَ مَا حُرِمَا
مَن فاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ الْبِذَارَ فَمَا
تُرَاهُ يَحْصُــدُ إلاَّ الْهَــمَّ وَالنَّـدَمَا

فيا أرباب الذنوب العظيمة : الغنيمة الغنيمة في هذه الليالي والأيام الكريمة ، فما منها عوض ولا لها قـيمة فكم يعتق فيها من النار من ذي جريمة ، فمن أعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العميمة ، والمنحة الجسيمة ، فيا من أعتقه مولاه من النار ، إياك أن تعود بعد أن صرت حـراً إلى رق الأوزار ، يبـعدك مولاك عن النار وأنت تتقرب منها ، وينقذك مولاك وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها ، وان امرؤٌ ينجو

(١) هذا جزء من حـديث أبي هريرة رضى الله عنه الذي أخرجه الترمذي في كتاب (الدعوات عن رسول الله) باب : ((قول رسول الله رغم أنف رجل)) حديث رقـم (٣٥٤٥) ونصه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفرله ورغم أنف رجل أدرك عنده أبـواه الكبر فلم يدخلاه الجنة)) قال الترمذي : ((هذا حـديث حسـن غريب من هذا الوجه)) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٧١٣٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٠) .

من النار بعدما تزود منها لسعيد ، إن كانت الرحمة للمحسنين فالمسيء لاييأس منها ، وإن كانت المغفرة مكتوبة للمتقين فالظالم لنفسه غير محجوب عنها :

إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لاَ يَرْجُوهُ ذُو خَطَــأ

فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِيينَ بِالْكَرَم

إذا كان لايرجوك إلا محســـن فمن الذي يرجوه ويدعوه المذنب ، إن كان لايرجوك إلا محسن ، فبمن يلوذ به ويستجير الجاني ، وعلى من يعتمد المقصر في غد مع ما تقدم منه من عصيان .

﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر/ ٥٣) .

فيا أيها العاصي – وكلنا كذلك – لا تقنط من رحمة الله لســـوء أعمالك ، فكم من معتق من النار في هذه الأيام من أمثالك ، فأحســـن الظن بمولاك ، وتب إليه إنه لا يهلك على الله إلا هالك .

وَجَعَتْكَ الذُّنُــوبُ فَــدَاوِهَا

بِرفْع يَــدٍ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ

وَلاَ تَقْنَطَنْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّمَا

قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ ذُنُوبِكَ أَعْظَمُ

فرحمته للمحسنين كرامة ، ورحمته للمذنبين تَكَرُّم واعلموا – رحمكم الله – أن المعاصي سبب الهجر والطرد ، وإنها حجاب غليظ عن الله ، وتحول بين العبد وبين المغفرة ، فعلى وجه الطائع نور طاعته ، وعلى وجه العاصى ظلام مخالفتــه ، وعنــد الموت يُتَلَقَّى هذا بالبشارة ، ويقع ذلك في الخســـارة ، وفي القبر هـــذا يفترش مهاد

الفلاح ، ويلقى ذلك على حَسَكَ (١) القباح ، وعند الحشر هذا يركب وذلك يسحب ، ثم يقال للعصاة هلا أدركتم وللطائعين ((سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرتُمْ)) فيا أيها الإخوان قوموا بنا لنتوب في زمن المهلة والإمكان ، وتوبتنا تحتاج إلى استغفار لعدم الصدق ، فقد كان الحسن البصرى يقول استغفارنا يحتاج إلى استغفار

قال الإمام القرطبى : فإذا كان هذا في زمانه ، فكيف بزماننا الذي يرى الإنسان فيه مكباً على المعاصي وظلم العباد ، لايهتدي للتوبة ، ومع ذلك في يده سُبْحَةٌ زاعماً أنه يستغفر من ذنوبه بها ، وقلبه غافل عن الاعتبار .

ومن هنا كان على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأي رجلا يسرع في السُبْحَةِ بالاستغفار ، يقول : هذه توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج إلى توبة .

وقال المحققون : لا يقدر على التوبة النصوح إلا الأفراد من الناس ، لعزها ، فأكثروا من الاستغفار ، ومن الاستغفار عن استغفاركم ، لعدم صدقكم ، وارجوا من فضل ربكم قبول توبتكم إذا حصل لكم نبذة ندم ، لحديث ((الندم توبة)) (٢).

وروي من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قال لا إله إلا الله ، - قال حسن : ابتغاء وجه الله - ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة)) (٣)

---

(١) أي شوك القباح ، والحسك نبت له شوك صلب ، انظر القاموس (١٢٠٩) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٣٣٨٧) ، وابن ماجه في كتاب (الزهد) باب : ((ذكر التوبة)) حديث رقم (٤٢٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (٢٣٤٧٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥/٧) : ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن مسلم البتي وهوثقة)) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٤٥) صحيح الجامع (٦٢٢٤) .

وكان السلف يرون أن من مات عقيب عمل صالح ، كصيام رمضان أو حج أو عُمرة أنه يرجى له أن يدخل الجنة ، وكانوا مع اجتهادهم في الصحة في الأعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت ، ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد؟

- لما احتضر العلاء بن زياد بكى ، فقيل له : ما يبكيك؟ قال : كنت والله أحب أن أستقبل الموت بتوبة ، قالوا : فافعل رحمك الله ، فدعا بطَهُور ، فتطهر ، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه ، ثم استقبل القبلة وأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك ، ثم اضطجع فمات .

- ولما احتضر عامر بن عبدالله بن الزبير ، بكى وقال : لمثل هذا فليعمل العاملون : اللهم إني استغفرك من تقصيرى وتفريطي ، وأتوب إليك من جميع ذنوبي ، لا إله إلا أنت ، ثم لم يزل يرددها حتى مات رحمه الله .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه عند موته :

اللهم أمرتنا فعصيناك ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعنا إلا عفوك، لا إله إلا الله ، ثم رددها حتى مات رحمه الله .

وقال عمر بن عبد العزيز عند موته : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحدَ النظر ، فقالوا : إنك تنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني أرى حضرة ، ما هم بإنس ولا جن ، ثم قُبض رحمه الله ، وسمعوا تالياً يتلو :

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص/ ٨٣)

إخواني : طوبى لمن غسل درن الذنوب بتوبة ، ورجع عن خطاياه قبل فوت الأوبة ، وبادر الممكن قبل أن لايمكن ، فهذه عَشْرُ الأعمال الصالحات ، عشر

تمحى فيها السيئات ، عشر السرور والبركات ، فاستدركوا مافات ، واعتذروا فيهن من الهفوات ، قبل نزول هاذم اللذات ، قبل أَن تَـــثْوَوْا بين أموات ، في بيت ضيق من الموحشات ، إما روضة من رياض الجنات ، وإما حفرة من حفر النار فيها حــيات ، وأهوال مفظعات .

اللهم أنت أعلم بالحال قبل الشــكوى ، وأنت قــادر على تحقــيق الآمال وكشف البلوى ، اللهم أنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل ، وملجانا إذا انقــطع الأمل ، فعد علينا بالعفو والمغفــرة والعتق من النار ، واغفــر لنا جميــع الأوزار ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين .

المجلس التــاسع

في الترغيب في إتمام العمل وإكماله

الحمد لله الذي أسكن قلوب أوليائه بسالف محبته فهاموا ، وقيد جوارحهم عن الشهوات فاستقاموا ، منعهم بحلاوة ذوق المعالي لذة الطعام والشراب فصاموا ، وصبروا أنفسهم وأجسادهم على ملازمة الطاعات فداموا ، أحمده ، والإنس والجان والأملاك ببعض محامده ما قاموا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشــهد أن نبــينا محمداً عبــده ورسوله ، الذي لم تأخذه في الله لومة اللائمين حين لاموا ، صلى الله عليه وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسائر الصحابــة الذين جاهدوا في الله حــق جهاده ، وتصدقوا وصلوا وصاموا ، وسلم تسليما .

عباد الله : إن شهر رمضان قد قرب رحيله ، وأزف تحويله ، فلم يبــق منه إلا ليلة ، فمن كان منكم قد أحسن فعليه بالتمام ، ومن كان قد فرط فليختم بالحسنى ، فالعمل بالختام ، فاستمتعوا بما بقي تدركوا رضى الملك العلام ، وبادروا رحمكم الله ساعات شهركم البا قية ، فإنها مغتنم ، واستدركوا ما مضى منه بالحســرة والندم ، واختموا بالتوبة من ســالف الزلل وأوبــة إلى صالح العمل ، كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاه التراويح ، وأوقدوا في المساجد طلباً للأجر المصابيح ، وملؤا بالعبــادة المكان الفسيح ، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح ، قنصتهم والله في الآخرة المصائد فقهروا وأسرتهم الحصائد فأســروا ، فلم ينفعهم المال ولا الآمال لما قــبروا ، وهذي حالك عن قريب فتيقظ ، وهذا مآلك بعد قليل فاجتهد وتحفظ ، ذهب عنك شــهر رمضان وأنت قاعد ، وسارت فيه قوافل الصالحين وأنت متباعد . شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، فينبغي لمن يرجو العتق من النار أن يأتي

بأسباب توجب العتق من النار ، وهى متيسرة في هذه الأيام .

كان أبو قلابة يعتق في آخر الشهر جارية حسناء مزينة ، يرجو بعتقها العتق من النار .

وكلمة التوحيد تهدم الذنوب وتمحوها محواً ولا تبقي ذنباً ولا يسبقها عمل ، وهى تعدل عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار ، ومن قالها خالصاً من قلبه حرمه الله على النار (١)

وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة ، فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة ، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره .

قال الحسن : أكثروا من الاستغفار فإنكم لاتدرون متى تنزل الرحمة .

وقال لقمان لابنه : يابني عود لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلاً .

وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (محمد/١٩) .

والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها ، فتختم به الصلاة ، والحج ، وقيام الليل ، ويختم به المجالس ، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها ، وإن كانت لغواً كانت كفارة لها . فكذلك حري أن يختم صيام رمضان بالاستغفار .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار والصدقة : صدقة الفطر ، فإن صدقة الفطر طُهْرَةٌ للصيام من اللغو والرفث ،

---

(١) في الصحيحين من حديث عتبان بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه : ((فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) أخرجه البخاري في كتاب (الصلاة) باب : ((المساجد في البيوت)) حديث رقم (٤٢٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) باب : ((الرخصة في التخلف عن الجماعة العذر)) حديث رقم (٦٥٧) .

والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث .
ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين : صدقة الفطر للصيام كسجدتي السهو للصلاة .
وقال عمر بن عبدالعزيز في كتابه : قولوا كما قال أبو كم آدم عليه السلام :
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِر لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف/ ٢٣)
وَقولوا كما قال نوح عليه السلام : -
﴿وإلاَّ تَغْفِرْلي وتَرْحَمْني أَكُنْ مِن الخَاسِرين﴾ (هود/ ٤٧)
وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام :
﴿والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئتي يَوْمَ الدِّين ﴾ (الشعراء/ ٨٢)
وقولوا كما قال موسى عليه السلام : ﴿رب إِني ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ (القصص/ ١٦) .
وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام : ﴿لاَ إِلهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَك إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ ﴾ (الأنبياء/ ٨٧) .
فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع ، وعمل صالح له شافع .
كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ، ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع ، كيف نرفو (١) خروقه بمخيط الحسنات ، ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع .
كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه .
إذا كان هذا حال المحسنين في عباداتهم ، فكيف حال المسيئين مثلنا في عباداتهم ، ارحموا مَنْ حسناته سيئات وطاعاته كلها غفلات ، أستغفر الله من صيامي طول زماني ، ومن صلاة كلها غفلات وقريب من هذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في ليلة القدر بسؤال العفو (٢) ، فإن المؤمن يجتهد في شهر رمضان في صيامه

---

(١) أي نجمع ونرقع ..
(٢) تقدم تخريجه صفحة (١٢٠) .

وقيامة ، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله إلاّ العفو ، كحال المسيء المقصر .

كان مطرف يقول : اللهم أرض عنا ، فإن لم ترض عنا فاعف عنا .

قال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من يكن غاية أمله من الله العفو .

إن كنت لا أصلح للقرب ، فشأنكم العفو عن الذنب .

واعلموا رحمكم الله أن أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة ، وهى حل عقدة الإصرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعاصي معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود .

وفي سنن أبي داود وغيره عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
((لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم إِني صُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ وقمته كُلَّهُ))

قال أبو بكرة ، فلا أدرى أكره التزكية ، أم لابد من نومة أو رقدة . (١)

أين من كان إذا صام صان الصيام ، وإذا قام استقام في القيام ، أحْسَنوا الإسلام ثم رحلوا بسلام .

وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ)) (٢)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب (الصوم) باب : ((من يقول صمت رمضان كله)) حديث رقم (٢٤١٥) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٩٥١١)

(٢) أخرجه أبوداود في سننة في كتاب (الصلاة) باب : ((في تخفيف الصلاة)) حديث رقم (٧٩٢) وابن ماجه في كتاب (إقامة الصلوات والسنة فيها) باب : ((ما يقال بعد التشهد والصلاة على النبي)) حديث رقم (٩١٠) ، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ، حديث رقم (١٥٣٣٣)
ونص رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة قال أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذبه من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولادندنة معاذ فقال – النبي صلى الله عليه وسلم – حولها ندندن)) .

فالصائم يُرجَى استجابة دعائه ، فينبغي أن لايدعو إلاّ بأهم الأمور . قــال أبوسلمة : ((ما عرضَتْ لي دعوة إلا صرفتها إلى الاستعاذة من النار))

وفي الحديث :((تَعرَّضُوا لِنَفَــحَات رَحْمَةِ رَبِّكُمْ فَإنْ لله نَفَحَاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فمَنْ أَصَــابته سَــعِدَ سَــعادة لا يَشْقَى بَعْــــدَهَا أَبَداً)) (١) .

فمن أعظم نفحاته مصادفة ساعة إجابة يسأل الله فيها العبدُ الجنة والنجاة من النار ، فيجاب سؤله فيفوز بسعادة الأبــد . قــال تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (آل عمران/ ١٨٥) .

لَيْسَ السَّعِيدُ الَّذِي دُنْيَاهُ تُسْعِدُهُ إنَّ السَّعِيد الَّذي يَنْجُوا مِنَ النَّار .

يا قوام الليل : اشفعوا في النُوَّم ، يا أحياء القلوب ترحموا على الأموَات

قيل لا بن مسعود : ما نستطيع قيام الليل ؟ قال : أقعدتكم ذنوبكم .

وقيل للحسن : قد أعجزنا قيام الليل ؟ قال : قيدتكم خطاياكم .

وقال أيضاً : إن الْعبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل .

قال بعض السلف أذنبتُ ذنباً فحرمت به من قيام الليل ستة أشهر

فيا أيها الناس : الغنيمة الغنيمة فيما بقي من ساعات شهركم ، فاستدركوا فيهن هفواتكم قبل وفاتكم ، فالنجا النجاء والوحا الوحا (٢) ، اعلمــوا أنكم لم

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٥٠) من حديث انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((افعلوا الخير دهركم وتعرضوا النفحــات رحمة الله فإن لله نفحــات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم)) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢١) : ((رواه الطبراني وإسناد رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهوثقة))

(٢) أي العجلة والإسراع .. انظر القاموس المحيط (١٧٢٩)

تخلقوا للدنيا ولا لجمعها ، ولا للتفاخر فيها ، وإنما خلقتم للعبادة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون ﴾ (الذاريات/ ٦٥) .

فعلينا أيها الإخوان بالاعتناء بمعرفة ما خلقنا له وبالعَمل فيه .

وفي صحف إبراهيم عليه السلام : يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصَنعْت لهم ، وتزينت ، إني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك ، ما خلقت خلقاً أهون علي منك ، كل شأنك صغير ، وإلى الفنا يصير ، إني قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومي لأحد ، ولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطاعوني من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة ، طوبى لهم ، مالهم عندي من الجزاء إذا وفدوا علي من قبورهم : النور يسعى أمامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى أُبلِّغهم ما يرجون من رحمتي .

– عباد الله : أين أرباب الصيام ؟ يا فراش النوم أين حراس الظلام ؟ اندَرست المعالم وقوضت الخيام ، فعلى أطلالهم مني السلام . يانائماً في سفينة الأمن لاتنظر إلى سكونهم ،إنما يسار بك وأنت لاتشعر .

– بكى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، فأطال البكاء فسئل عن بكائه فقال : ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير ثم صرخ وغشي عليه .

– لله در أقوام بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات ، فالعين مشغولة بالدموع عن المحرمات ، واللسان محبوس في سِجن الصمت عن المهلكات ، والكَف قد كُفَّتْ بالخوف عن الشهوات ، والقدم قد قُيدت بقيد المحاسبات والليل لذتهم يجأرون فيه بالأصوات ، وإذا جاء النهار قَطَعوه بمقاطعة اللذات ، فكم من شهوة ما بلغوها حتى الممات ، فتيقظ للحاقهم من هذه الرقدات ، ولا تطمعن في الخلاص مع عدم الإخلاص في الطاعات ، يا من بين يديه يوم لاشك فيه ولا مراء ، يقع فيه الفراق وتنفصم العُرى ، يوم تشيب فيه الأطفال ، يوم تَسَيرفيه الجبال ، يوم يظهر فيه الوبال ، يوم لاتقال فيه العثار ، ينصب فيه الصراط ، فناج وواقع ، ويوضع الميزان

فتكثر فيه الوضائع وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بـــين تلك المجامع ، ويخسر العاصي ويربح فيه الطائع .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ورســولك محمد - صلى الله عليه وسلم - ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - وعبادك الصالحون ، واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين الأحـــياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين .

المجلس العاشر

في وداع رمضان

الحمد لله موفر الثواب للأحباب ، ومكمل الأجر وباعث ظلام الليل ينسخ نور الفجر ، الموالي رزقه فلم ينس النمل في الرمل ، والفرخ في الوكر ، جل أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر ، أبصر فلم يَخْفَ عليه دبيب الذر في البر ، وسمع فلم يغرب عن سمعه دعاء المضطر ، وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر ، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه ، ومَنَّ علينا بعيد الفطر .

أحمده حمداً لا منتهى لعدده ، وأشكره شكراً لا يحصى ، موصول مدده ، وأتوكل عليه توكل عبد على سيده .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة مخلص في معتقده .

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسائر أصحابه وأزواجه وتابعي مقصده ، وسلم تسليما .

فيا عباد الله : تدبروا القرآن المجيد ، فقد دلكم على الأمر الرشيد ، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعيد ، ولا زموا طاعة ربكم ، ولا سيما أيام العيد ، فهذا شأن العبيد واحذروا غضبه ، فكم قصم من جبار عنيد : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج/ ١٦) .

عباد الله إن الفرح بفضل الله ورحمته هو السرور ، فاشكروا نعمة الله عليكم فيما يسر لكم من صيام رمضان ، وأعطاكم من نعمة الإيمان ، فقد أمركم بذلك مَنْ بنوره يهتدي المهتدون . فقال تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة/ ١٨٥) .

وودعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير والعزم على دوام الجد والتشمير ، ألا وإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمدٍ ، فإن رب محمد باق لايموت ، فإن رمضان قد تهيأ للرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل ، بل

بقى منه سبع ليالٍ ، وقد فاز المجتهدون بالنوال ، وقد بقي منه ليلة أو ليلتان ، وقد صار أثراً بعد عين ، بقيت منه ليلة واحدة ، وقد اقتسم العاملون فوائده ، بقى منه بقية هذا اليوم وكأنه طيف زار في النوم ، فلقد كان للمتقين روضة وأنسا ، وللغافلين قيداً وحبساً ، كان نزهة للأبرار ، وقيداً للأشرار ، فطوبى لمن حل فيه عقد الأحرار ، وحل في روضة التقوى ، في منزل الافتقار ، أي شهر قد تولى يا عباد الله عنا ، حق أن نبكي عليه بدماء لو عقلنا ، كيف لانبكي لشهر مر بالغفلة عنا ، ثم لا نعلم أنا قد قبلنا أو طردنا ، ليت شعري من هو المحروم والمطرود منا ،ومن المقبول ممن صام منا فَيُهَنَّا كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهر حُسناً ، فاجعل اللهم عقباه لنا نوراً وحُسناً .

أيها الإخوان : شهر رمضان ، عليكم بالاجتهاد في باقيه ، وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه ، فكم متأهب ليوم فطره فيصبح يوم عيده في قبره ، قد فارق الإخوان وعَدِمَ الخلان ، أين الذين كانوا معكم في عيدكم الماضي فذهبوا ، وأين الذين كانوا في مثل هذا العيد قد فرحوا وطربوا ، أملوا أملاً شديداً ، وتوهموا البقاء فبنو مشيداً ، فاختطفهم ريب المنون ، فأبلى منهم ما كان جديداً ، وسيعانون لفراقه كأس المذاق ، فكم بين من يرعى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد ، أو طيف خيال ألم في طيب سهاد (١) ، فقد شغله أنسه بحبيبه عن الأنام ، فهو يتمنى لو كان على الدوام ، قد هجر فيه لذيذ المنام ، ولزم الوقوف بحِندَس (٢) الظلام ، وبين من يرى رمضان موسماً لنيل الشهوات ، ويعد أيامه استعجالاً لأوقات البطالات ، وآخر قد فرط في الإنابة والتوبة ، وقصرعن الإجابة والأوبة ، فازداد برمضان وزرا على وزره ، واكتسب بأيامه خُسْراً على خُسْرِه ولم يتزود منه ليوم حشره ، ورضي بإبعاده

---

(١) أي في قليل من النوم ، وانظر القاموس (٣٧١)

(٢) قال في القاموس (٦٩٥) ((الحِنْدَس ، بالكسر : الليل المظلم ، والظلمة جمع : حنادس)) أ.هـ .

وهجره ، والسـعيد في يوم العيد يتذكر الوعد والوعيد ، ويطلب من مولاه المزيد ، فهو يوم يتفضل فيه المولى المجيد بعتق الإماء والعبيد .

عباد الله : إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل ، و لم يبق منه سوى نزر قليل وهو ذاهب عنكم بأفعالكم ، وشاهد عليكم غداً بأعمالكم ، فيا ليت شـعري ماذا أودعتموه ، وبأي الأعمال ودعتموه ، أتراه يرحل عنكم حـامداً صنيعكم ، أو ذاماً تضييعكم ، ما كان أعظم ساعاته ، وما كان أحلى جميع طاعاته ، كانت لياليه ليالي عتق ومباهاة ، واسحاره أوقـات خدمة ومناجاة ، ونهاره زمان قربـة ومصافاة ، وساعاته اجتهاد ومعاناة .

رُوي عن علي أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان : ياليت شعري : من هذا المقبول فنهنيه ، ومن هذا المحروم فنعزيه .

وعن ابن مسعود أنه كان يقول : ((من هذا المقبـول منا فنهنيه ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه أيها المقبول هنيئاً لك ، أيها المردود جبر الله مصيبتك

سَلاَمٌ مِنَ الرَّحْمانِ كُلَّ أَوَان
عَلَى خَيْرِ شَهْرٍ قَدْ مَضَى وَزَمَانِ
سَـلاَمٌ عَلَى شَهْرِ الصِّيَام فإنهُ
أَمَانٌ مِنَ الرَّحْمـانِ أَيُّ أَمَـان
لَئِنْ فَنِيَتْ أَيَّامُـك الْغُرُّ بَغْتَـة
فَمَا الْحُزْنُ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ بفَان

يا شـهر الصيام ترفق ... دموع المحبـين تدفق ... دموعهم من ألم الفراق تشقّق لعل الوادع يطفي من نار الشوق ما أحرق ... عسـى منقـطع عن ركب المقبولين يلحق ... عسى من استوجب النار يعتق .

واعلموا – رحمكم الله – أن ليلتكم هذه ليلة الوادع الذي شرفه الله وعظمه ، ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن ، جعله الله مصباح العام ، وواسطة عقد النظام ، وشرف قواعد الإسلام ، ونوره بأنوار الصيام والقيام ، أنزل فيه كتابه، وفتح فيه للتائبين أبوابه ، فلا دعاء فيه إلاَّ مسموع ، ولا خير إلاَّ مجموع ، ولاضر إلاَّ مدفوع ، ولا عمل إلاَّ مرفوع .

شهر جعلهَ الله لذنوبكم تطهيراً ، ولسيئاتكم تكفيراً ، ولمن أحسن منكم صحبته ذخيرة ونوراً ، ولمن وفى بشرطه وقام بحقه فرحاً وسروراً ، شهر تورَّع فيه أهل الفسق والفساد ، وازداد فيه من الرغبة إلى الله أهل الجد والاجتهاد ، شهر عمارات القلوب ، وكفارات الذنوب ، واغتصاص المساجد بالازدحام والتحاشد .

– شهر فيه المساجد تعمر ، والمصابيح تزهر ، والقلوب تجبر ، والذنوب تغفر .

شهر فيه تشرق المساجد بالأنوار ، وتكثر الملائكة لصوامه من الاستغفار ، وتنزل فيه البركات ، وتعظم فيه الصدقات ، وتكفر فيه السيئات ، وتقال فيه العثرات ، وتدفع النكبات ، وترفع فيه الدرجات ، وترحم فيه العبرات ، وتنادي فيه الحور الحسان من الجنات : هنيئاً لكم يامعشر الصائمين والصائمات ، والقائمين والقائمات بما أعد الله لكم من الخيرات .

لقد غمرتكم البركات ، واستبشر بكم أهل الأرض والسموات ، فرحم الله امرءاً مَهد فيه لنفسه قبل حلول رمسه (١) ، واشتغل بيومه عن غده وأمسه ، وتزود من بقية زاده ، ففى نفاده نفاد عمره ، وأظهر لفراق شهره جزعه ، وسلم على شهره وودعه ، وقال : السلام على شهر رمضان .

---

(١) أي موته ..

السلام على شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن .
السلام على شهر التجاوز والغفران .
السلام على شهر البركة والإحسان .
السلام على شهر التُحَفِ والرضوان .
السلام على شهر النسك والتعبد .
السلام على شهر الصيام والتهجد ، السلام على شهر التروايح
السلام على شهر الأنوار والمصابيح .
السلام على شهر الأنس للعارفين .
كان نهارك صدقة وصياماً ، وليلك قراءة وقياماً
فعليك منا تحية وسلاماً .

أتراك تعود بعدها علينا ، أويدركنا المنون فلاتؤول إلينا ، مصابيحنا فيك مشهورة ، ومساجدنا فيك معمورة ، فالآن تنطفىء المصابيح ، وتنقطع التراويح ، ونرجع إلى العادة ، ونفارق شهر العبادة ، فياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله ، أم ليت شعري من المطرود منا فنعزيه بسوء عمله .

فيا أيها المقبول هنيئاً لك في ثواب الله ورضوانه ، ورحمته وغفرانه ، وقبوله وإحسانه ، وعفوه وامتنانه ، وخلوده في دار أمانه .

ويا أيها المطرود بإصراره وطغيانه ، وظلمه وعدوانه ، وغفلته وخسرانه ، وتماديه وعصيانه ، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه ، فأين مقالتك الباكية ، وأين دمعتك الجارية ، وأين زفرتك الرائحة والغادية .

لأي يوم أخرت توبتك ، ولأي يوم ادخرت عدتك ، عام قابل وحول حائل ، كلا ، فما إليك مدت الأعمار ولا معرفة المقدار ، فكم من مؤمل أمل بلوغه فلم يبلغه ، وكم من مدرك له ولم يختمه ، وكم ممن أعد طيباً لعيده جعل في تلحيده وثياباً لتزيينه صارت لتكفينه ، ومتأهباً لفطره صار مرتهناً في قبره ، وكم ممن

لايصوم بعده سواه ، وهو يطمع في غيره أن يراه .

فاحمدوا الله عباد الله على بلوغ اختتامه ، واسألوه قبول قيامه وصيامه ، وراقبوه بأداء حقوقه ، واعتصموا بحبل الله وتوفيقه .

واعلموا رحمكم الله تعالى أنكم فارقتم شهراً عظيما، مفضلاً كريما ، أين الصوام القوام ، المرافقون لكم في سالف الأعوام ، وأين من كان معكم ليالي شهر رمضان شاهدين ، وفي كل حق الله معاملين ، ومن الآباء والأمهات ، والإخوة والأخوات ،والجيران والقرابات ، أتاهم والله هاذم اللذات ، وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات ، فأخلى منهم المشاهد ، وعطل منهم المساجد ، تراهم في بطون الألحاد صرعى ، لايجدون لما هم فيه دفعاً ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ينتظرون يوماً الأمم إلى ربهم تدعى ، والخلائق إلى الموقف تُحْشَر وتَسْعى ، والفرائص تَرْعَدُ من هول ذلك اليوم جمعا ، والعيون تذرف دمعا ، والقلوب تتصدع من الحساب صدعاً :

﴿ ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف/٩٩) .

عباد الله من كان منع نفسه في شهر رمضان من الحرام ، فليمنعها فيما بعده من الشهور والأعوام ، فإن إله الشهرين واحد ، وهو على الزمانين مطلع شاهد . جزانا لله وإياكم على فراق شهر البركة ، وأجزل إقسامنا وإياكم من رحمته المشتركة ، وبارك لناولكم في بقيته ، وسلك بنا وبكم طريق هدايته بمنه وفضله ورحمته .

عباد الله اعلموا أن صدقة الفطر طُهْرَة للصائم من اللغو والرفث فأخرجوها عن الصغير والكبير ، والعبد والحر (١) وأما الحمل فيستحب الإخراج عنه لفعل عثمان رضى الله عنه : صاعاً من تمر ، أو شعير ، أو أقط ، أوبر أو زبيب ، فمن أداها قبل صلاة العيد فهي صدقة مقبولة ، ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات (٢)

قال أحمد بن أبي الفرج : احتجت في شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطعام فوجدت في السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير ، وهي مصفرة اللون نحيفة الجسم يا بسة الجلد ، فاشتريتها رحمة لها ، وأتيت بها إلى المنزل ، فقلت لها خذي أوعية وامضي معي إلى السوق لنشتري حوائج رمضان ، فقالت ياسيدي : إني كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ، فعلمت أنها من الصالحات ، فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان . فلما كانت آخر ليلة قلت لها : امضى بنا إلى السوق لنشتري حوائج العيد ، فقالت : يا مولاي أي حوائج العيد : حوائج العوام أم حوائج الخواص ؟ فقلت لها : صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص ؟ فقالت : يا سيدي حوائج العوام

---

(١) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين : ((فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعاً من شعير أوصاعاً من تمر على الصغير والكبير والحر والمملوك))
أخرجه البخاري في كتاب (الزكاة) باب : ((صدقة الفطر على الصغير والكبير)) حديث رقم (١٥١٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب (الزكاة) باب : ((زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير)) حديث رقم (٩٨٤)

(٢) لما أخرجه أبوداود في كتاب (الزكاة) باب : ((زكاة الفطر)) حديث رقم (١٦٠٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه – قال : ((فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصِّيام من اللغو والرفث وطُعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)) وأخرجه أيضاً ابن ماجه في كتاب (الزكاة) باب : ((صدقة الفطر)) حديث رقم (١٨٢٧)

الطعام المعهود في العيد ، وحوائج الخواص : الاعتزال عن الخلق والتفريد ، والتفرغ للخدمة والتجريد والتقرب في الطاعات للملك المجيد ، والتزام ذل العبيد فقلت لها: إنما أريد حوائج الطعام . فقالت : يا سيدى أي الطعام تعني : طعام الأجساد أم طعام القلوب ؟ فقلت : صفيهما لي . فقالت : أما طعام الأجساد فهو القوت المعتاد ، وأما طعام القلوب : فترك الذنوب ، وإصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب ، والرضا بحصول المقصود والمطلوب ، وحوائجه الخشوع والتقوى ، وترك الكبر والدعوى ، والرجوع إلى المولى ، والتوكل عليه في السر والنجوى .

ثم إنها راحت تصلي ، فقرأتْ في الركعة الأولى سورة البقـــرة إلى آخرها ، ثم شرعت في سورة آل عمران ، ثم لم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَـوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَـــانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّت وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَاب غَلِيظٌ ﴾ (آية/١٧) .

ثم لم تزل تردد هذه الآية وهي تبكي إلى أن أغمي عليها ووقعت على الأرض وحركتها فإذا هي ميتة رحمة الله عليها .

فلله دَرُّهُمْ من أقوام ، غسلوا وجوههم بدموع الأحزان ، وأســهروا عيونهم في الليل بالذكر وتلاوة القرآن ، ونصبوا أقدامهم في خدمة الملك الديان ، واجتهدوا في العمل وبادروا الزمان ، فكل زماهم رمضان .

اللهم استر عيوبنا ، واغفر ذنوبنا ، وأقــر في الآخرة عيوننا بــرؤية وجهك الكريم ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فهرس مراجع التحقيق

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألباني .
الطبعة الثانية ، نشر المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ

- الأعلام / خير الدين الزركلي ..
الطبعة الثانية عشرة ، نشر دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٩٧ م

- تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبوبكر الخطيب البغداي
نشر دار الكتب العلمية - بيروت

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف/ الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري
تحقيق : محي الدين مستو ، سمير العطار ، يوسف بديوي / الطبعة الثانية / نشر دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دار القرآن علوم .

- تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي
نشر دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١ هـ

- التمهيد لمافي الموطأمن المعاني والأسانيد/ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر
نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري
نشر دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٥ هـ

- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي
تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، الطبعة الثانية ، نشر دار الشعب - القاهرة

- رسالة في التوسل والنهي عن التفرق / الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العُمري
نشر مطبعة آل زائد - البحرين

- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين / الشيخ محمد بن عثمان القاضي
الطبعة الثالثة ، طبع مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ

- سنن الترمذي / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي
الطبعة الأولى ، نشر دار السلام ، ١٤٢٠ هـ

- سنن الدارمي / أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي
الطبعة الثانية ، نشر دار سحنون - تونس ، ١٤٢٣ هـ

- سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني
الطبعة الأولى ، نشر دارالسلام ، ١٤٢٠ هـ

- سنن ابن ماجة / أبو عبدالله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني ..
الطبعة الأولى ، نشر دار السلام ، ١٤٢٠ هـ

- سنن النسائي / أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي
الطبعة الأولى ، نشر دار السلام ، ١٤٢٠ هـ

- سلسلة الأحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني
الطبعة الرابعة ، نشر المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ

- سلسلة الأحاديث الضعيفة / محمد ناصر الدين الألباني
الطبعة الرابعة ، نشر المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ

- شعب الإيمان / أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي
تحقيق : محمد السعيد زغلول ، الطبعة الأولى ، نشر دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ

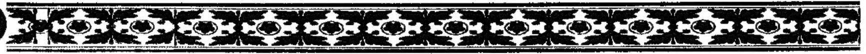
- شرح مسلم / أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري النووي
الطبعة الثانية ، نشر دار إحياء التراث ، ١٣٩٢ هـ

- صحيح الإمام البخاري / أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي
تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ، نشر دار ابن كثير واليمامة ، ١٤٠٧ هـ

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / أبوحاتم محمد بن حبان أحمد التميمي البستي
تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ، نشر مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤ هـ

- صحيح ابن خزيمة / أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري
تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي ن ١٣٩٠ هـ

- صحيح الجامع الصغير وزيادته / محمد ناصر الدين الألباني
الطبعة الثالثة ، نشر المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨ هـ
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته / محمد ناصر الدين الألباني
الطبعة الثالثة ، نشر المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨ هـ
- علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم / الشيخ صالح بن سليمان العُمري
الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ
- علماء نجد خلال ثمانية قرون / الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام
الطبعة الثانية ، نشر دار العاصمة ، ١٤١٩ هـ
- فتح الباري شرح صحيح البخاري / أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، نشردار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ
- القاموس المحيط / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
الطبعة الثالثة ، نشر مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار / أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي
تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٩ هـ
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي
نشر دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ هـ
- المستدرك على الصحيحين / أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النسابوري
تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، الطبعة الأولى ، نشر دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ
- مسند الإمام أحمد بن حنبل / أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني
نشر مؤسسة قرطبة – مصر
- المعجم الصغير / أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني
تحقيق : محمد شكور أمرير ، الطبعة الأولى ، نشر المكتب الإسلامي ودارعمار ، ١٤٠٥ هـ
- المعجم الأوسط / الطبراني
تحقيق : طارق عوض الله وعبدالمحسن الحسيني ، نشر دار الحرمين ، ١٤١٥ هـ



- المعجم الكبير / الطبراني
تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الطبعة الثانية ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٤ هـ

- الموطـــــأ / الإمام مالك بن أنس
الطبعة الثانية ، نشر دار سحنون ، ١٤١٣ هـ

- النهاية في غريب الأثر / أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري
تحقيق : طاهر بن أحمد الزاوي ومحمود الطباخي ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٣٩٩ هـ

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة
	١٠٠
**** عشرة مجالس للعشر الأواخر: ****	
	١٢٦

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة

___ **** ___